

عدنان العطّار
دبلوم دراسات اسلامية
مجاز في الآداب من جامعة دمشق

تقاليد الزواج الدمشقي

البدوي و الريفي و الحضري

دار سعد الدين

تقاليد الزواج الدمشقي

البدوي و الريفي و الحضري

عدنان العطّار
دبلوم دراسات اسلامية
مجاز في الآداب من جامعة دمشق

تقاليد الزواج الدمشقي

البدوي و الريفي و الحضري

دَارُ



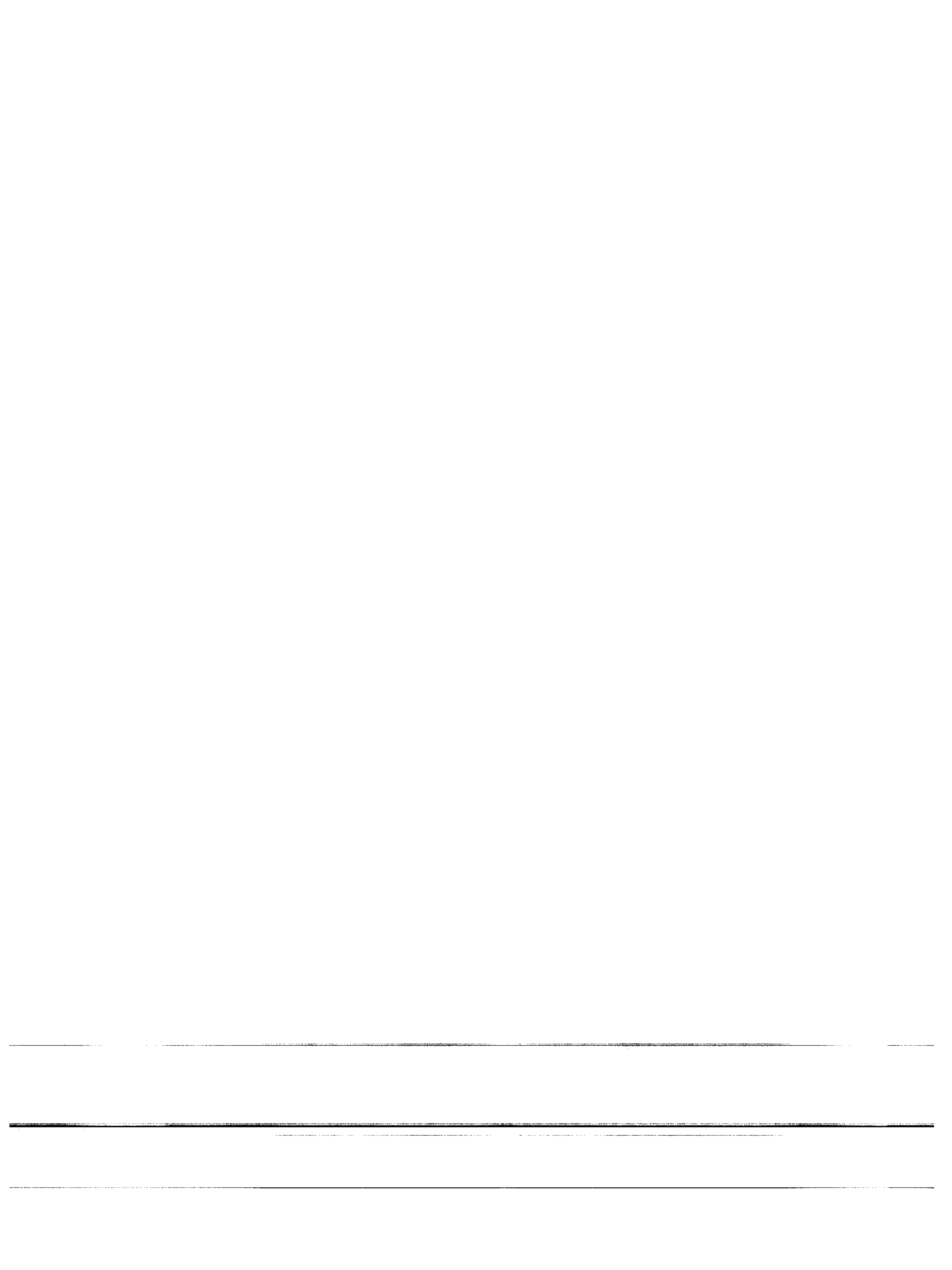


دمشق - عين الكرش - جادة كرجية حداد - رقم ٤٨
ص.ب ٣١٤٣ هاتف ٤٢٩٦٩٣

الطباعة (أوفست): المطبعة العلمية بدمشق

عدد النسخ (٢٠٠٠)





الإهداء

إلى عميد اسرتنا أسرة آل العطار.... الإقتصادي والمحسن الكبير الأستاذ فارس مصطفى العطار

مع كل التقدير والحب والوفاء ...

أقدم هذا الجهد المتواضع ، لصاحب الفضل الكبير والجهد الكثير لتشجيعه كل أفراد العائلة العطارية الشريفة، على العطاء والرفعة والمجد ،مكملا طريق أبيه عمي الحاج مصطفى العطار . رحمه الله ، وأسكنه فسيح جنانه ...آمين ..

المؤلف

عدنان ابراهيم العطار

المقدمة

كثير من أبناء العرب يتناقلون كثيرا من الأحاديث عن التقاليد القديمة الخاصة بالخطبة والزواج في مخكلف بلاد العالم وهي تقاليد تختلف كثيرا أو قليلا بين بلد وآخر ولكنها في جوهرها تعود إلى أصول واحدة منبعثة من حياة هذا الشعب الخالد خلال تاريخه الطويل وقد سجلنا في هذا السفر تقاليد المئة عام الماضية قبل اندثارها بفعل التطور السريع المسيطر على عالمنا المعاصر

ولعل كبار السن في المناطق القديمة يذكرون هذه العادات و بعض تفاصيلها حيث لازال بعضها مطبقا في مناطق كثيرة بدمشق وفي هذا الكتاب لانكتفي بعرض هذه العادات والمظاهر وإنما نعيدها إلى جذورها العميقة في تاريخ العروبة ببلاد الشام

والواقع أن هذا الكتاب يكشف عن أمور طريفة قد لاتخطر على البال مما يجعل القارىء يشعر بمتعة الماضي ونشوته وأفراحه ويزيده فهما ومعرفة بتاريخه وقد حاول كثير من الأجانب طمس هذاالتاريخ وتحويره

إن الكشف عن الواقع التراثي خطوة موضوعية لفهم واقعنا المشتت وتطويره نحو الأفضل

الفصل الأول

الزواج المقدس في الديانات القديمة في سوريا

انت وأنا   بـالحـب عـم نـغـني
مـا يلتقى عنـا رغيف   ونعيش بـالهنا والجنـة

هذه الأغنية الشعبية التي تغنيها فيروز هي من أغاني الزواج المقدس الشرقي زواج الآلهة المؤدي إلى ولادة الإله المقدس أياُ

أيا الأسم الذي يؤلف المقطع الأخير من أسماء القرى والمدن في بلدي سورية مثل صيدنأيا ومضى أيا وسرغ أيا وبكف أيا ومنذ الزمن القديم وقبل اختراع الكتابة كان الإله أيا ثمرة الزواج المقدس وقد عبد ه سكان البحرين في الجزيرة العربية كما عبده سكان سوريا مناطق فينيقية وآرام وأصبح بعد ذلك إله العبرانيين يهوه وقد اقتبسه العبرانيون من الفينيقين وأضافوا له صفات آتون إله الشمس الحارق في مصر الفرعونية ولما نزلت الوصايا العشر على نبي الله موسى عليه السلام التي تعتبر التوراة العبرانية الحقيقية عند كثير من العلماء بقي أيا عند العرب الإله المختص بالعلم والذكاء والفطنة

إذن كما تذكر النصوص القديمة كان أيا خالق الزوجين الشابين آدم وحواء كما ورد في نصوص التكوين البابلية العربية التي تؤكد على إعلاء شأنهما فوق كل المخلوقات ، كما تذكر أيضا النصوص الكنعانية البحرينية القديمة[1]

وأيا السوري هو مردوخ البابلي الذي يتغنى به سكان سوريا ولبنان والأردن ويعيش مع لهجات البدو في الجزيرة العربية مثل :

ليا وليا يابنيه   ياواردة على المية أو ياليلى البدوية أو يافطيم الحورانية

وفي أبو الزلف يقال :

عالعين يم الزلف   عيني يامو ليه[2]

أي يا أم الإله أيا أو ياعشتروت[3] وليا هو القسم بحياة الإله[4] أيا الذي خلق آدم

وحواء حسب النصوص القديمة ، وأعلا من شأنيهما فوق جميع المخلوقات وفي القرآن الكريم يقول الخالق العظيم سبحانه وتعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم – ولقد خاقنا الإنسان في أحسن تقويم – صدق الله العظيم

وأيا لايزال في صحرائنا البدوية – يقول البدوي – ليا طلعت الشمس – ليا أمطرت – أي والله طلعت الشمس – وأثر ذلك لايزال هذا اليمين في الهجة العامية في بلادي حيث يقسمون بدون أن يطلب منهم ذلك فيقول – والله رحت – والله أكلت – دون أن يطلب منه القسم – رغم مخالفة ذلك لتعاليم الإسلام – ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ،

فالزواج المقدس الذي نتحدث عنه في هذا الفصل هو زواج الشابين آدم وحواء وسنقدم في هذا الفصل تقاليده وعاداته في بلدتي دمشق وما جاورها

وهذا الزواج المقدس ولد منه الإله القمر الذي ترتاح اليه النفس ويغفر ذنوب البشر ألإله ود – الودود يقول النص البابلي :

ولد منها المقدس

الملكة ولد منها المقدس

ابيسمتي ولد منها المقدس

الملكة ولد منها المقدس

ولكن هل ولد الإله المقدس دون حب – ودون غزل –تقول النصوص القديمة :

حبيبي الذي آثرني

حبيبي الذي لاطفني

حبيبي المحبوب من انليل وشورين

حبيبي مليكي إله بلاده

إذن كان الحب والإيثار والملاطفة والغزل دليل اختيار الرجل للمرأة وما يتبعه من اعمال للزواج بها ،فقد اقتبس العبرانيون هذه النصوص في نشيد الإنشاد المنسوب إلى سليمان(٥)الحليم أقول اقتبسوا هذا الغزل هذه الملاطفة وأقحموها في التوراة دون علاقة

بينها وبين ماسبقه من النصوص فكان هذا الشعر الغزلي العربي القديم بين الراعي الذي يمثل الإنسان المسيطر على الأرض وزارع بذرة الخصوبة ، وبين الفتاة سلمى القيدارية ، الفتاة العربية التي تشكل الخصوبة والعطاء والجمال حيث بقايا هذا النص لاتزال موجودة في الأغاني السورية تقول أغاني نشوة الماضي :

نزلو على البستان يا سليمى وقطفوا ورداتي

واحد حبيب الروح ياسليمى والثاني حياتي

وفي نص آخر :

وإن ابوك ماعطاني يباكي ياسليمى

لنرى مايقول النص في نشيد الإنشاد النسوب لسليمان الحكيم :

لقد دخلتي جنتي ياأختي العروس – قطفت مري مع طيبي – أكلت شهدي مع عسلي – شربت خمري مع لبني – كلوا واشربو واسكروا أيها الأحباء –

هكذا قطف حبيب سلمى أو شولمة حسب التعبير القديم الورد والطيب

ونجد في نهاية الاصحاح السادس :

ارجعي ارجعي ياسليمى

إرجعي فننظر اليك

ماذا ترون في سلمى

مثل رقص صفين

ثم يتابع في الإصحاح السابع

ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم

دوائر خديك مثل الحلي

سرتك كأس مدورة

بطنك سرة حنطه

وفي الإصحاح الخامس من نشيد الإنشاد الآية الأولى

عنقك كبرج من عاج

عيناك كالبرك

أنفك كبرج لبنان الناظر باتجاه دمشق

رأسك عليك مثل الكرمل

شعر رأسك كالأرجوان

قامتك شبيهة بالنخلة

ثدياك كالعناقيد

قلت أصعد إلى النخلة وامسك بعذوقها

وفي الحكايات الشامية توصف الفتاة أو العروس الجميلة :

خدوها تفاح الشام

شفافها رق الفنجان

صدرها رمان معان

بطنها مخمر عجان

عيناها عيون الغزلان

وجهها بدر تمام

قامتها غصن البان

ساقاها عواميد رخام

هذا الزواج المقدس في الوثائق والمرويات والنصوص التاريخية والدينية ، توثق في القرآن الكريم بعد بسم الله الرحمن الرحيم : ولقد خلقنا لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنو إليها صدق الله العظيم وجاء في الإنجيل ما يؤكد قدسية الزواج حيث يقول : ما جمعه الله لا يفرقه الإنسان

وهذا دلالة على استمرار الزواج المقدس في الشرائع السماوية كما هو قبل ذلك وهو النص المشير إلى المتعة—

أما في النصوص الوثنية القديمة في بلاد الشام طقوس الزواج المقدس بمتعته الجنسية فنشاهد بين النصوص التي تشير إلى ذلك حيث ينادي الحبيب أو الزوج لحبيبته بالأخت يقول النص

الراعي يقول لأخته — حبيبته[٦] أختاه أنظري ما يفعل الجدي بأخته

تجيبه أخته بسذاجة :
بعد أن نط على ظهر أخته بدت عنها صيحة نشوة
فإذا ندت عنها صيحة نشوة يكون قد نط فوق ظهر أخته
تعال إلى هنا الآن إن هذا لأنه غمرها بمنيه المنجب
وفي آخر القصيدة نقرأ
حبيبي لقيني
نال متعته مني ابتهج كما لم يبتهج أحد بي
الأخ جاء ألى بيته
أضجعني على فراش العسل المعطر
حلوي الثمين يتكىء إلى قلبي
صنع اللسان مرة بعد مرة
أخي صاحب أجمل وجه فعل ذلك خمسين مرة
ونجد الصراحة الكاملة في النصوص اا‌لقديمة حول الزواج المقدس فنقرأ :
أختاه — حبك — جعته لذيذة
أعشابك عصيرها لذيذ
في بيتك أطايبك تلذني
أختاه مقتنياتك تمتعني
تعالي الآن يا أختي الحبيبة
فتجيبه الحبيبة
يمناك وضعتها على فرجي
يسراك مسدت رأسي
لقد لامس ثغرك ثغري
ياحامل زهري
ياحامل ثمري
أيها اللآئق بي حلوا كان إغراؤك

الحامل السيف ذا التاج اللازوردي
وذلك إشارو لاتزال حتى الآن في الزواج البدوي حيث يقوم العريس ليلة العرس يضرب خفيف ببطن السيف على رأس زوجته ثلاث مرات
وهكذا فالتاريخ لايزال بيننا ولانزال نحن حتى اليوم نقوم بالزواج المقدس قصد الإنجاب – الزواج بين الزوجين وقد خلقهما الله من التراب وجعلهما يقطفان عسالتي بعضهما البعض ليتمتعن بالبهجة والإنجاب يقول النص البابلي على لسان الفتيات :
هوذا عال هو صدرنا
هوذا شعر نبت على فرجنا
على حضن العريس لتكن بهجتنا
فتجيب الآلهة
أنتن ارقصن
لتبتهجن بسبب فرجكن
بذلك سوف يكون مسرورا
فتردد البنات :
ألا فليأت ألا فليأت ألا ليته يأت

هذا هو الزواج المقدس بين الرجل والمرأة كما ورد في النصوص القديمة والذي يعد الأهل أبناءهم وبناتهم له منذ الصغر

(١)أنظر اسطورة العقل الأولى – فراس السواح ص ٨٠

(٢) أبو الزلف من الزلفى القربى

(٣) المصدر السابق ص ١٣٩

٤ إن أيا أصبح فيا بعد إيل وتطور إلى إيليا

الإصحاح الخامس من نشيد الإنشاد – الآية الأولى

(٦) أسطورة العقل الأولى ص ١٥٥

فلا حياة بدون زواج ولا تكتمل شخصية الفتى أو الفتاة بدون زواج – يجمع كل نصف إلى نصفه كما تقول الأسطورة الاغريقية أو يعود إلى آدم ضلعه المفقود كما في المرويات الشعبية العربية .



الفصل الثاني

إعداد الفتاة للزواج

التربية مادة أساسية للنجاح في كل جانب من هذه الحياة المعقدة . وهي إحدى الواجبات الرئيسية للأبوين ، ويقع القسم الأكبر منها على عاتق الأم ، ومتى شب الولد عن الطوق ينبغي إعداد الفتاة والفتى للزواج حتى يحوزا رضى المجتمع ويسعدا في حياتهما الزوجية وتستمر الحياة على سطح الأرض .

وتسعى الفتاة في دور البلوغ والمراهقة أن تستحوز على اهتمام الرجل وتوجيه أنظاره اليها بنظرة الرضى والحب والإيثار .

وقد ورد في الكتاب المقدس :

هلمي معي من لبنان ياعروس ، معي من لبنان — أنظري من رأس أمانة[1] ، من رأس شنير[2] وحرمون ، من خدور الأسود ، من جبال النمور — قد سبيت قلبي يا أختي العروس — قد سبيت قلبي بإحدى عينيك — بقلادة واحدة من عنقك —ما أحسن حبك يأختي العروس — كم محبتك أطيب من الخمر — وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب — شفتاك ياعروس تقطران شهدا — تحت لسانك عسل ولبن — ورائحة ثيابك كرائحة لبنان .

أختي العروس جنة مغلقة . . . عين مقفلة ينبوع مختوم — أغراسك فردوس رماني مع أثمار نفيسة وناردين . ناردين وكركم . . . . حتى نصل فى هذا النص :

ليأتي حبيبي إلى جنته ويأكل ثمره النفيس . . .

وهكذا فالمرأة جنة الرجل الدنيويه . ويأت الرجل إلى جنة الزوجية السعيدة— هكذا اراد الشاعر المنشد سليمان الحكيم الزواج جنة لا جحيم . وكل سوء في الحياة الزوجية وفشل مهما كانت الأسباب . يعود بأسبابه إلى التربية من قبل الأهل وخاصة أن بعض

الأمهات العاملات يهملن تربية أولادهن – ومن جهة أخرى تعمد بعض الأسر الغنية إلى ترك تربية أبنائها إلى خدم لم تحسن تربيتهن ، أو لبعدهن عن تقاليد البلاد وخاصة التقاليد الإسلامية كما في بلدان الخليج حيث الخدم والمربيات من الجنسيات التي يدين أكثر أفرادها بالوثنيه مثل سرنديب – والفيلبين – وتايلاند . وعندها تكون مؤسسة الزواج وسوء الإعداد للحياة الزوجية سبب بلاء كبير للمجتمع . و يؤدي ذلك إلى تدمير المجتمع والوطن . لذا نشدد على أهمية التربية في الحياة الزوجية وحياة الأمم . عند ذلك يصبح بيت الزوجية جنة ويصلح الوطن والمجتمع .

كيف نعد الفتاة ليكون المنزل جنة الرجل في هذه الحياة الدنيوية . إضافة إلى الأخلاق الفاضلة التي هي الأساس في التربية الإسلامية الغراء .

وأهم ما يجب أن تتعلمه الفتاة الفنون التالية .

١ – الطهي – ولا يعني ذلك أن المرأة هي طباخة أو عشية ، فالطريق إلى قلب الرجل يمر من معدته .

٢ – تحضير الشرابات : بكافة انواعها الباردة مثل الليمون والتوت والحصرم والشرابات الساخنة – الشاي والقهوة والكجارات وأنواع الزهورات وكذلك تعطير الأشربة وطريقة تقديمها بعد تزينها .

٣ – فن التفصيل والخياطة أي تحضير الملابس للمرأة وأولادها وكذلك تحضير الملابس الداخلية للرجل وملابس النوم .

٤ – عجن الطحين وتقطيعه وخبز الخبز سواء على التنور أو الصاج ، وقد انتهى هذا العمل الآن وأصبح بدلا منه عمل الكاتو والكعك .

٥ – حياكة الصوف وأشغال الإبرة والتطريز .

٦ –ترتيب الفرش والأسرة ووضع الوسائد بشكل يؤمن راحة كافة أعضاء الرجل والمرأة خلال وجودهم في الفراش

٧ – تنظيف الأرض والجدران وكذلك البسط والسجاد والحصر .

٨ – فن التزيين – ويشمل التكحيل وتزجيج الحواجب وتعييم الأظافر ودلك الجسم لتنعيم البشرة وكذلك تعطير الجلد ونتف الشعر من كافة مواضع الجسم ماعدا الرأس

والشامة وتنظيف الأسنان وتعطير الفم باللبان ودعك الكعب وأطراف الأرجل لتنعيمها كالحرير واستعمال الدهونات لتكون بشرة الأيدي ناعمة خاصة بعد الغسيل .

٩ – تعطير فراش الزوجية بالمسك – مسك الفراش – أو بنثر زهر الياسمين عليه .

١٠ –تجهيز الأسرة والمضجع بكافة وسائل الراحة المناسبة للعمل المقدس الذي ينجب الأطفال .

١١ – تزيين المنزل باللوحات الفنية وترتيب الزهور .

١٢ – الرسم والخط الجميل .

١٣ تعلم الغناء .

١٤ – تعلمو الإيقاع والعزف على آلة موسيقية .

١٥ – تعلم الرقص والحركات المثيرة للرجل والمرافقة للموسيقا .

١٦ – حسن التزين بالحلي فلا تلبس ذات العنق القصير الأقراط الطويلة ، وإكثار ذات المعصم ذو العظام البارزة بالمصاغ الذهبي والفضي وذلك لتغطية المناطق التي لا تتمتع بجمال أخاذ .

١٧ – حسن الحديث بدون تكلف وبطريقة تتمتع بالجاذبية واللطف .

١٨ – تحضير العطور والروائح الذكية من الأزهار .

١٩ – حسن حفظ الفواكه وتجفيف الخضار لفصل الشتاء .

٢٠ – الرشاقة وخفة الحركة .

٢١ – حسن ترتيب المائدة وترتيب الأواني المنزليةبزخرفتها والرسم الملون عليها .

٢٢ – حياكة الطاقية من غزل القطن وتهدى إلى العريس في مناطق القلمون دلالة على أن الفتاة تريد من العريس أن يتقدم لخطبتها أي رايداه والنبي رايداه وغزل الصوف حيث تقوم الفتاة البدوية بغزل الصوف لتحيك للشاب المرشح للزواج بها قميص ذا كم طويل من الصوف وسروال طويل يقيه برد الليالي الباردة في الشتاء ويدفع عنه المرض المتأتي عن البرد أثناء رعي الأغنام ، وهذا إشارة من الفتاة بموافقتها على أن يتقدم لخطبتها .

٢٣ – جلب وتخزين المياه وتبريدها . . لتمكن الرجل عند عودته من عمله تناول المياه

الباردة والشرابات المعدة مسبقا .

٢٤ – **حفظ أبيات كثيرة من الشعر والزجل تلائم المناسبات وكذلك الأمثال التي** تشكل قواعد أساسية للملاءمة بين الحياة والتراث .

٢٥ – القراءة بنغمة عذبة وحسن الأداء لمقاطع الكلمات ومخارج الحروف .

٢٦ – فن معالجة بعض الأعراض المرضية البسيطة التي تصيب الطفل أو الرجل وكذلك الإسعافات الأولية عند الطوارىء .

٢٧ – فن الإيماء والتقليد ومعرفة ما يريده الرجل من تصرفاته وحركات عينيه ورأسه .

٢٨ – حسن انتقاء الكلمات عند الكلام وحسن تفهم الفتاة للكلام المبهم الصادر عن الزوج . وذلك بإتقان فهم المعاني وبعض التعابير بشكل واضح لأن عدم الفهم الواضح يسبب كثيرا من الالتباس وسوء الفهم والمشاكل بين الزوجين .

٢٩ –تصميم وهندسة أشكال الأثاث وترتيبه بالمنزل – فالمنزل جنة الزوجين .

٣٠ حل الألغاز والأحاجي والتلاعب بالألفاظ والأسئلة الغامضة .

٣١ – معرفة اللهجات المحلية .

٣٢ – التمارين الذهنية والزجل وتخطيط الأشكال الرمزية .

٣٣ – انواع كثيرة من الألعاب واللعيبيات .

٣٤ – معرفة التقاليد أو آداب السلوك وفن تقديم الإحترام والمديح للآخرين .

٣٥ – مختلف أنواع الألعاب المسلية مثل البرجيس والورق والنرد والشطرنج . . . .

إن تعلم هذه الفنون يجعل الفتاة تضمن تعلق زوجها بها خاصة إذا كان قد مر بتجارب كثيرة في حياته مع كثير من النساء بحيث لايجد مجالا للمقارنة بين ميزات من عرف والمميزات والمساوىء الخاصة بالزوجة

٣٦ – التربية البدنية والجسدية وخاصة الحركات المتعلقة بالطقوس الجنسية المقدسة ، ويمكن أن نذكر منها ما كان سائدا في القرن الماضي وهي :

أولا–حركات الجسم :

١ – المرونة في حركات المفصل بين الحوض والفخذ ، وهو أن تستطيع الفتاة أن

تطوي ساقاها وهي مستلقية على الفراش بحيث تكون الساق متوازية مع الجسم . ولذلك كانت الأمهات تجري التمرين الدائم لبناتهن بأن تجلس الفتاة على الأرض وتحاول تقبيل الأرض وهي تمد ساقاها ، وكانت الأمهات تقول للفتاة إذا ما قبلت الأرض تصبحين صالحة للزواج . . . . فكانت الفتاة تجري الكثير من التمارين التي تؤمن لها الليونة المناسبة .

٢ – القصعة وهي أيضا متعلقة بمفصل الحوض. وينص التمرين على وقوف الفتاة ولوي جسمها إلى الوراء حتى يصل رأسها إلى الأرض – وكانت الفتيات يتبارين خلال حفلات الزواج في إبراز مقدرتهن على القصعة أمام المدعوات.

٣ – رفع ساقي المرأةإلى الأعلى وهي مستلقية على ظهرها لتشكل الساقان عند تباعدهما زاوية قائمة فيما بينهما .

ثانيا – القبل والمداعبات : ورد في كتاب منامات الوهراني تسمية أنواع القبل مثل القبلة العصفورية وهي القبلة ذات الملامسة السريعة مع صوت يشبه الزقزقة المتتالية أثناء التقبيل ، والقبلة السكرية وهي مص الشفاه أثناء التقبيل ، والقبلة الرمانية المحكوكة المرضوضة – وقبلة زق الحمام وقبلة مص اللسان مع الشفتين – وقبلة لثم الفم مع الوجنتين . . . . إضافة إلى ما يرافق هذه القبل من الحركات كالإسترخاء وحركات الرأس والجسم خلال القبلة المستقيمة والمائلة والملوية والضاغطة ، وكذالك كيف تحرك شفتيها بغنج وتسلمها إلى العريس مع تحريك الرموش والحواجب والأجفان أما المداعبات فتشمل ابداء الرضا عن المغازلات وابراز المفاتن في القاءات ومداومة النظر بشبق خلال جلسات السمر وتحريك الرموش والأجفان لضم نظرات الزوج الموله و التحرش بالقرص والعض ، والعض هو المفضل عند الأقدمين وكذلك خدش الأظافر وتدليك الأجسام والأعضاء . وبذلك يتوهج الحب ويحيا الرضا – وكثير من النساء في الماضي كن يشعرن بالرضى والفخر عند إثارتهن الرجل إلى الحد الذي يجعله يترك آثار ذلك على جسدها أو جسده مما يدل على عدم البرودة ، وأنها ليست تمثالا من الشمع أو المطاط وإنما تتفاعل مع الرجل وتشاركه المتعة الكاملة .

ثالثا – استعمال الأدوية اللازمة بعد الولادة لتعود الفتاة وكأنها لاتزال بكرا متزوجة

حديثا ، مثل استعمال الشبة الممزوجة مع مسحوق العفص وهذه الوسائل هي ما تجعل الرجل يعزف عن اتيان بنات الهوى .

ورغم أن الحب والتفاهم ينظم الحياة الزوجية فإن إزالة ما ينفر الرجل كان ولا يزال من الأسباب الرئيسية لاستمرار العلاقات الزوجية وجعل الحياة في منتهى السعادة

(١)نشيد الإنشاد للنبي سليمان الحكيم الإصحاح الرابع الآية التاسعة .

(٢) شنير أو سنير : هو جبل القلمون المطل على دمشق من رأس أمانق وهو جبل قاسيون .

(٣)هذه الكلمات مطلع أغنية االمطربة اللبنانية فيروز والكلمات منقولة من نشيد الإنشاد .

(٤) جاء في كتاب منامات الوهراني ومقاماته ورسائله للعلامة الشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني من القطر الجزائري الشقيق المتوفي عام ٥٧٥ هجرية تحت عنوان وصف شربة لأهل الهوى ما يلي : يؤخذ على بركة الله وعون الله أوقيتين من صافي وصال الحبيب منتقاة من عيدان الجفا وخوف الرقيب وثلاثة مثاقيل من نور الإجتماع ، منتقاةمن غلث الهجر والبعد والانقطاع وأوقيتين من خالص الوداد والكتمان ، منزوعة من نوى الصدود والهجران . وعناق النحور وضم الصدور ولثم الثغور ولزم الخصور . من كل واحد مثقالين شهيق حلبي وغنج عراقي وظرف قاهري ، من كل واحد مثقالين ، مائة بوسة رمانية محكوكة مرضوضة ، منها خمسين صغار سكرية وثلاثين زق الحمام ، وعشوين عصافيرية ، وأوقيتين مص اللسان مع الشفتين ، ولثم الفم مع الوجنتين ، يدق الجميع ويخلط ويذر عليه ثلاثة دراهم غلمة مصرية ، وأربعاًعكان مطوية ، ويغلى في مجلس جديد ديباج طرسوسي ، مع خمس دراهم دلال تنسي ، وخمس رهزات هندي ، وأربع فتلات اسكندراني ، ويصفى على مطرح ديبقي سلطاني ، ويحل في أوقيتين من شراب الرضا ، وأوقيتين من ورد مربا اللقا ، يشرب على الريق ثلاثة أيام ، ويكون الغذاء مزورة يقطين الإشتياق ، ويضاف اليه قلب لوز العناق ، وماء ليمون الأنفاق ، ويتناول بعد ذلك ثلاثة أرطال من المدام ، ويتبع برطل شيل الرجلين ودخول الحمام . نافع إن شاء الله . ص ١٥٠–١٥١ .

الفصل الثالث

الزواج البدوي

التربيةو الزواج عند البدو تتسم بالعراقة والقدم . وهي تمثل كل التاريخ الماضي وتمتد إلى أساطير ما بين النهرين وسورية واليمن القديم وقد تكون أبعد من ذلك في القدم .

ولما كان البدو في بلادنا ينقسمون إلى طبقتا الشيوخ والأفراد فإن تقاليد الزواج تختلف حسب طبقة الزوج ومنطقته وغير ذلك تبعا للإختلافات الزمانية والمكانية في المجتمع البدوي .

فالوظيفة الأساسية للفتى في المجتمع البدوي سابقا هي الحرب والتمرس بطرق المبارزة في النزال ذات الأبواب العشرة التي ذكرها كاتب قصة أبي زيد الهلالي سلاما .عندما قالت له الجازية :يأبو زيد علم الفرسان طرق الحرب وأبواب المبارزة العشرة ليستطيعوا التغلب على الأعداء . . . .

يقوم الضعاف من الشباب بالرعي والبيع والتجارة ،أما المرأة فإنها تساعد في أعمال الرعي والصيد والعناية بالحيوانات وإعداد الخبز والطعام ، إلى غير ذلك من الأعمال حول الخيام ولاتتجاوز بذلك المناطق القريبة من الخيمة ومضارب القبيلة إضافة إلى حلب النوق والنعاج والماعز . كل هذه الأعمال تجعل الحياة البدوية متوازنة ، فأعمال الرجل خطرة وقد تنهي حياته . فالبدوي سابقا إما أن ينتصر أو يموت في المعركة مرفوع الرأس أو يؤسر . لذلك يعمد زعماء البدو وعقدائهم إلى إعدام الأسرى خوفا من انتقامهم . إلا إذا كان هناك أسرى يجري التبادل بينهم .

والفتاة البدوية في بداية حياتها قبل الزواج تختلط بالرجال وخاصة الشباب منهم فحياة المرأة البدوية تيسر لها الإختلاط بالرجل ، فهي ليست منعزلة كأختها الحضرية في

المدينة ، حتى ولا الكثيرات من أخواتها القرويات ، وهي لهذا تعرف أكثر رجال العشيرة الذين يعيشون معها إن كانت العشيرة تعيش في مضرب واحد ، لأنهم ينتقلون معا وينزلون معا ، ويترددون إلى سوق البدو معا . وربما يصدق ذلك على عرب الشمال أكثر ما يصدق على عرب الجزيرة العربية وخاصة السعودية .
وهكذا فالفتاة البدوية ترى الشباب وتتحادث معهم وتراهم وتواعدهم وتلتقي معهم مع المحافظة على كافة الأعراف والتقاليد الشرعية والأخلاقية والإجتماعية وأجمل ما تفخر به البدوية عندما تري معجبا مدلها أن توقعه في (فخ) منصوبة بحيث تتمكن منه وتكتفه وتتركه على قارعة الطريق ليهزأ به المارة وهو يستجدي الرحمة منهم وهذا دلالة على عشقه لها ورفضها له .

أماإذا تعدت العلاقات الحدود البريئة فإن عقاب الفتى والفتاة هو الموت على يد أبو الفتاةأو أحد إخوتها أو أولاد أعمامها ، ويعتبر السكوت عن مثل هذه التصرفات مهينالكل أفراد القبيلة .

في كل صباح عندما تشرق الشمس . ويتجول الفرسان على خيولهم الأصيلة ،يكسرون بحوافرها أزهار الخزامى والبابونج والعبيتران . وتبدأ طقطقة السلاح وتخف حركة النمل والذباب ، وتفوح روائح عطرية تملأ الفضاء معبرة عن الطبيعة الخالدة البكر لأمنا الأرض . تنتشر فتيات القبيلة للرعي وجمع الشوك والقش والأغصان الجافة لاستعمالها لتحضير الخبز الرقيق (الرقاق) . يمكن أن نشاهد عندها إحدى بنات الشيوخ (الغازية)راكبة العطفة أو احدى الخيول البيضاء وقد وضعت تحتها جلد خروف صغير أبيض دون شوائب وذلك تعبيرا عن عذرية الفتاة ، حيث سيجمع دم البكارة لهذه الفتاة ليلة الزواج على هذا الجلد . . .

وبين الرياح الربيعية الدافئة التي تندفع فوقها بين الفينة والأخرى زخات مطر ربيعي هادىء . وفوق الأرض الموشحة بخضرة الربيع الندية ، وبين روائح العبيتران والخزامي والبابونج ، وقد تناثرت فوقها الأزهار المحمرة بلون دماء الشهداء أزهار شقائق النعمان . قد يقع نظر شاب فارس متجول على احدى الفتيات البدويات ، وتتلاقى نظراتهما ويصمم كل منهما نظرة الآخر ، وتسكن هذه النظرات في عين كل منهما فيضمهن

دلالة الوقوع في الحب . وتعرف الفتاة ذلك من حركة عيني الفتى ، فتجيبها بابتسامة محببة ، وتدعوه إلى كأس من الحليب ، دلالة نقاوة نفسها وفراغ قلبها من محب آخر .
ثم تقول له : أقسم لاختك أنه لن ينالها أي سوء . وكلمة الأخت تعني الحبيبة كما ورد في الفصل الأول عن الزواج المقدس . ثم تحدق فيه لترى تأثير ذلك فيه ، ومقدار تسلل حبها إلى قلبه . ويرافق ذلك عادة تراقص في غمازات خديها ، وملامسة الشامة الموجودة على خدها بإصبعها وهذه الشامة تعتز الفتاة البدوية بوجودها وهي تعبير عن انتسابها إلى قريش أشرف قبائل العرب .
تتناول الفتاة غصنا جافا من العيدان وتقدمها إلى الشاب وتقول له : خذ هذا بيدك واحلف بالله الذي يحمي كل شيء .(١) .

عندها يتناول الشاب الغصن وينفذ طلبها ويتعهد بحرمة ضيافتها . . بقسم لا يخرقه حتى الأطفال في الصحراء ويرفع عندها الغصن في وجهها ويقول :
بسم الله كما أخذ الروح من هذا العود فليأخذ روحي مني إذا لم أحافظ على روحك وجسدك وأحميها يا أختاة .

عندها تترك له حرية التصرف وتدعوه إلى خيمة الأسرة حتى وإن لم يكن أحدا من الأسرة أو أقارب الفتاة موجودا ، وهنا تقدم له الخبز والحليب الطازج وبعض الزبدة والتمر المجفف . . . أما إذا كان الشاب ابن رئيس العشيرة فعندها يجب أن تذبح له حملا أو خروفا حيث يقدم له ليقوم بذبحه بخنجر يحمله عادة في نطاقه .
وعندما يذبح الفتى الخروف تتناول الفتاة (الكلاوي والخصيتين) وتشويها له وذلك دلالة أنها تريده أن يتمتع بالرجولة والفحولة اللازمة . . .

وعندما يغادر الفتى الخيمة ترسل الفتاة من ترصد حركات الشاب وخاصة مكان بوله . فإذا حفر في الرمل يكون كامل الرجولة ويتمتع بالفحولة اللازمة . أما إذا لم يترك أثرا فإن الفتاو سترفضه لعدم صلاحيته لممارسة الجنس والإنجاب بعد الزواج .
وعندما يطول مكوث الفتى في خيمة الفتاة فإنها تأتي أمامه وتمد يدها إلى وسطه وتتناول خنجره وتضعه في حضنها دلالة أنها عذراء لم تمس وأنها ستحافظ على شرفها ولو

بالسلاح . وتطلب منه أن يبر بقسمه لأخته فالبدوي لايزال ينادي حبيبته بأخته كما كان قدماء المصريين ينادون حبيباتهم .

ويعتبر سابقا الحق الأول للزواج من الفتاة لابن العم فإن لم تكن له رغبة أو لأحد من إخوته رغبة في الزواج منها أصبحت طليقة من هذا القيد ، وعليه أن يصرح أنه تخلى عن حقه لكي تصبح لها الحرية في الزواج بمن ترغب . وإذا كانت لاترغب في الزواج من ابن عمها ، أو كانت وقعت في حب فتى آخر فإنها تسأل ابن عمها أن يتخلى عن حقه . وقد يفعل ذلك ، وخاصة إذا كان لايرغب بها أو عرض عليه هدية من الراغب الذي بطلب يدها . وإذا لم يرض فإنها لاتستطيع الزواج ممن تحب إلا إذا هربت معه ، وفي هذه الحالة تنقطع صلتها بعشيرتها ، ويمكن لابن عمها أن يقتص منها إذا شاء .

وفيما عدا حق ابن العم ، فإن الفتاة البدوية حرة في أن تحب وتتزوج من تشاء ، ومن هنا فإن أكثر الزيجات عند البدو هي زيجات حب حتى بين ابناء وبنا ت العم يتفاهم فيها الشاب والفتاة على الزواج . وقد ذكر الجنرال كلوب في مقدمة كتابه عن البادية عن شخص يعرفه تزوج من فتاة بعد حب دام ثمانية أعوام ، وهو أمر يكاد يكون غير مألوف من حيث طول المدى في القرية أو المدينة . وقد كان أهلها يمانعون طيلة هذه المدة ، ولكنهم لم يستطيعوا أخيرا أن يغيروا من رأيها .

اللقاء . . . .

لايمكن للشباب أن يميزوا بين الفتيات المنتشرات صباح كل يوم في البراري لجمع الأعشاب أو الصيد أو الرعي . لأن الفتاة رغم حريتها قبل الزواج تتلثم لتحمي وجهها من أشعة الشمس اللاهبة وتحمي بشرة وجهها من تأثير صدمات حبات الرمل التي تذروها الرياح أو من الرمال المتناثرة من حركة الخيل العنيفة عند تمارين القتال والطراد . ولكن الفتاة البدوية تتميز عادة بجمال عينيها الجميلتين وقد احيطتا بالكحل الأسود ونقاء البياض داخل العين إضافة إلى الأهداب الرجراجة بحركة سريعة . وصوتها الناعم اللطيف الذي يوحي بالضعف المحبب لدي المرأة وقد مزج هذا الصوت بالنبرات القوية التي تدل عليقوة الشخصية والتصميم .

ولكن الشاب العاشق يعرف الفتاة التي يحبها بنداء قلبه حتى قبل أن تقع أنظاره عليها . ولكنه لايستطيع أن يحدث أحدا بحبه لأن الحب بالنسبة إلى الفتى المحارب ضعف . . مما يجعل رجال القبيلة وبخاصة الكبار في السن يلاحظون علامات الجبن والشرود والتغيب عن حلبات المران على الفروسية . وعلائم العشق عادة تبدوا على الفتى رغم كل التكتم ويلاحظ سكان الخيم المجاورة كثرة تردده إليقرب مضارب الفتاة التي عشقها ، وملاحقته لها بالنظر عند رؤيته لها .

أما إذا أعلن حبه وعشقه لها . فإن الفتاة لاتستطيع الزواج به ، فأبوها لن يزوجها لرجل أبعده الحب عن مظاهر الفروسية وفنون الحرب . وإذا نظم بها شعرا أو زجلا أوبعض القصائد النبطية فإنها تحرم عليه ويطلب من أهله الرحيل عن المضارب . وإذا كان ابنا لشيخ القبيلة فسيحرم من مشيخة القبيلة في المستقبل .

الخطبة

عندما تتقد نيران الحب العفيف في صدر الفتى ويشعر بضرورة التقدم إلى خطبة الفتاة يبدأ بالتودد اليها ويناديها ، يانعامتي ، أو ياأيها الظبي الصغير ،
ويحدثها بما يجعله يتغنى بجمالها وأسباب تفضيلها على كل بنات القبيلة . عندها ورغم كل اللقاءات والمناسبات السابقة على الفتاة أن تبين موقفها ، ويمكن أن نميز بعض الطرق التي تتبعها الفتاة لاعلان موافقتها على طلب الخطبة وهي :

١ — أن تقترب الفتاة من الفتى وتلقي برأسها على كتفيه وذلك علامة الموافقة على الزواج منه .

٢ — أن تقترب الفتاة من الفتى فيمد لها يديه عندها تضع رأسها بين راحتيه ليقوم بتقبيلها من أعلى رأسها فوق الغطاء . .

٣ — أن تقوم الفتاة بتقديم رغيف من الخبز الرقيق وتلف بداخله قطعة من الحلوى . ويقدم لها بعض القطع من السكر . ويقبل كلا الطرفين الحلوى المقدمة دلالة على قبول الخطبة من كلا الطرفين . وعندها عليه أن يرسل أباه أو بعض رجال العشيرة المسنين أو وجوه العشيرة لخطبة الفتاة من أبيها .

بعد هذه المواقف العاطفية يقوم الفتى بجمع باقة من ورود الصحراء التي لاتذبل لتقديمها إلى الخطيبة كما يحضر لها من المدينة زوجا من الخلاخيل ، أو زوجا من الحلق . . . . أوغير ذلك من الهدايا القيمة والتي تمثل ((الشبكة)) كما تسمى في المدن العربية أو مسكة أو غيرها من التسميات .

وعند تقديم هذه الهدايا تجيبه الفتاة إذا كانت محبة حقيقة له : إن أزهار برارينا ليست أجمل من أزهار قلبي الذي سأقدمه لك بعد الزواج ، إن جمال عفتي قبل وبعد الزواج لايساوي كل خلاخيل وذهب العالم . وهذا يشير إلى أن ألعفة في المفهوم الشرقي والإسلامي أثمن من المال وماذا ينفع المال مع الأخلاق المنهارة . وعندما تحدث الخطبة تقوم الفتاة بامساك يد الشاب وتتناول عقاله وكوفيته من على رأسه لتتأكد من كثافة شعره الذي يدل على قوته الجنسية ، وتجلسه وتجلس بجانبه ،ثم تمسك برأسه وتضعه في حضنها وتتناول جدائل شعره ، فتفردها ثم تمشطها من أصولها . وتجمع كل خصلة على حدة ثم تتناول من شالها حفنة من روث الغزال الجاف ذي اللون الأخضر الداكن / والتي تنتشر منها روائح الزعتر والبابونج والخزامى والعبيتران اضافة إلى بعض حبات المسك الصغيرة .وتسحق الكرات بين يديها حتى يستقر المسحوق في راحتيها ، وتبدأ بتدليك الشعر بهذا المسحوق العطري . . . ويبقى الفارس الخطيب بين يديها مسرورا ساكنا والنشوة تملأ قلبه حتى تنهي عملها بإعادة ضفر خصلات شعره وإعادتها إلى ما كانت عليه . وعندها تضع على رأسه العقال والكوفية أو الغترة .

وهكذا تكون الخطبة بين القلوب ، قلوب أبناء الطبقة العليا في القبيلة الواحدة طبقة المشايخ .

أما بين الطبقات الدنيا :

فأكثر ما تكون بين الفتيات والفتيان خلال اختلاطهم أثناء النهار بين المضارب أو خلال جمع الحشائش والرعي وخلال هذه الأعمال أو خلال تناول الطعام في الولائم حيث تلتقي النظرات وتهفو القلوب خاصة عند تفتحها في فصل الربيع حيث تنتشر الروائح الأخاذة رائحة الأرض الطيبة الممزوجة مع الروائح العطرية الأخاذة المنبعثة من

الأزهار البرية والشوكية فتبعث في القلوب الدفء وفي النفوس الطموحات إلى ممارسة فن الحياة فوق أرض البادية الملونة بالألوان المبرقشة البنفسجية والحمراء والصفراء والبرتقالية . وهكذا بكل الأمل وكل الحماس تتعلق القلوب ببعضها البعض وتكون الخطبة بين أهل الفتى والفتاة . وتكون الخطبة بسيطة بين البدو متوسطي الحال والفقراء وقد كان منتشرا بين البدو زواج الشغار ، حيث يتزوج الرجل من أخت شاب آخر مقابل أن يزوجه أخته أي البدل وهذه العادة قد نهى الإسلام عنها ولكنها لاتزال شائعة عند البعض وقد عممت لجنة الأمر بالمعروف في المملكة العربية السعودية نشرات تشير إلى مخالفة هذه العادة إلى مبادىء الدين الإسلامي . وشرحت مساوئها الناتجة عن طلاق بعض النساء من أزواجهن رغم محبتهم وخلاف رغبتهم لأن أخت الزوج قد طلقت فيقوم الرجل الذي طلق زوجته بإجبار أخته على طلاق زوجها وفي هذا معصية لله الذي خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها . . . .

المهر

تختلف المهور بالنسبة للقبائل ، وبالنسبة لأهل العريس وأهل العروس . ولكنها عند عند عرب الشمال ليست غالية ، وأحيانا لاتعين بل تترك لأهل العريس والعريس ومكانته وشيمته . ومن عاداتهم أن يهدي العريس لأهل العروس جملا يحفظ لها في الغالب حتى إذا عادت إلى أهلها مطلقة كان لها . أما هذه المهور التي تبلغ العشرات من الإبل أو مئة ليرة ذهبية كما زعم البعض فليس لها أثر اليوم .
ولا يعرف البدو تعدد الزوجات على نطاق واسع غير أن هناك كثيرين يجمعون بين امرأتين . وفي كثير من الأحيان تترمل المرأة فتتزوج من بعد بعلها بعلا آخر . وتكون ضرة لأخرى ، ومهما يكن فإن تعدد الزوجات عند الشيوخ والأغنياء من الأسر المعروفة شائعا ، والشائع أن المرأة الأولى ، وهي في كثير من الأحيان ابنة عمه أو قريبته ، تطل هي السيدة الأولى في البيت وتكون الزعامة لابنها الأكبر .
وهناك بعض العشائر التي تفتخر بكرم نسبها ، فلا تزوج بناتها من بنات قبيلة أخرى .
وقد ذكر الدكتور جبرائيل جبور أنه رافق في طريقه وهو في البادية بدوي اسمه سالم

المناحي من عرب الغشوم ، وتحدث معه عن العشائر ،لإن عشيرته لاتعد أكثر من عشرين بيتا تمنع بناتها من الزواج من أبناء أي قبيلة أخرى ، إلا إذا ترملن أو طلقن . وذكر له أن مهر الفتاة يدفع للوالد . وإذا حدث وطلب الوالد مهرا أكثر مما يحوزالراغب في الفتاة ، فمن الأفضل للراغب أن يأخذ كل نياقه وينيخها أمام بيت العروس تاركا لأهلها أن يختاروا ما سشاؤون منها وفي هذه الحالة يفرض العرف عليهم أن يعدلوا في أخذهم ، فلا يأخذوا عددا كبيرا منها لأنه دل بعمله على أنه شريف وكريم وذكر له أنه إذا طال العهد على الفتاة ولم تتزوج ، جمع أبوها أبناء عمها الأقربين والأبعدين وأخطرهم إن كان لأي منهم رغبة بها وإلا فهي حرة في أن تتزوج من تشاء غيرهم . وزعم أن هناك من تزوج بسبع من بنات عمه ، ذاك أنه يتزوج الواحدة ثم يطلقها ويتزوج الأخرى ، وهكذا بالتتابع .

أما المرأة الصليبية فهي تختلف عن أختها البدوية في انها تتمتع بقسط أوفر من الحرية ، وهي لاتكره على الزواج بمن لا ترضاه ، بل يؤخذ رضاها ، ويندر أن ترى لها ضرة في بيتها ، وليس ذلك بسبب الفقر كما هي الحالة عموما في البادية فالصلبه أغنياء إذا ما قيسوا بغيرهم من البداة . وقد يحدث أن تفارق زوجها إذا لم ترض العيش معه وزعم جورماني أنها قد تغيب عن البيت فلا يسألها زوجها أين كانت ولو غابت شهرا . والمثل الدمشقي عنهم عندما تغيب المرأة يسألهازوجها أو أباها : شو جبت ولايسألها أين كنت .

وفي حفلات الزواج تتبارى النساء الصليبيات في الرقص وحتى أمام الشيوخ والوجهاء ، وإذا رقصت الفتاة الصليبية فإنها ترخي شعرها وهي ترقص مكشوفة الرأس ، وتقوم بتحريك رأسها إلى الأمام وإلى الخلف وإلى اليمين وإلى اليسارفينتثر حول وجهها كما نرى في رقص هزة الخصر عند الراقصات الحضريات وخاصة في الأردن . وقد يشترك الرجل معها في الرقص ويقبلها مرارا أثناء الرقص ، وقد تتشابك الأيدي ولا يرى قومها في ذلك بأسا . وقد يشارك الفتاة رفيقاتها في الرقص .

وترفض المرأة الصليبية الزواج من عبد رغم ضعف مكانة أهلها وقبيلتها ، ولا من صانع قروي رغم أن أكثر الصلبه صناع . ويزعم البدو أن للنساء الصليبيات قدرة على

ممارسة السحر لجمع المحبين وتزويجهم . لذلك يلجأون اليهن رغم احتقارهم وتشاؤمهم من المرأة الصليبية .

ويميز البدو المرأة الصليبية عن المرأة البدوية في أن المرأة البدوية تركب على ظهر الحمار كما تركب على الفرس وترسل ساقاها إلى الجانبين ، بينما المرأة الصليبية تركب على الحمار وساقاها إلى جانب واحد .

وسن الزواج لدى الجنسين من البدو بين الخامسة عشر والعشرين . وقلما يتأخر عن هذه السن ،ويتم الأختلاط بين الفتى والفتاة وتعارفهما منذ الصغر . وخاصة أثناء الحل والترحال . وتتزوج البنات البدويات في سن مبكرة جدا ، وقبل الحضريات بكثير لأن اقليم البادية وعيش البداوة ينميانهن بسرعة ، وينضج استعداهن في وقت وجيز . وهذا ما يعجل بشيخوختهن ويسرع الهرم إلى المرأة البدوية لكثرة أعمالها وبسبب الإنجاب المبكر . وكثير من القبائل لاتستشير الفتاة عند الزواج والخطبة . لأن لوليها أن يزوجها لمن يشاء ، أو لمن يدفع أكثر .

والزواج يتم على القاعدة الشرعية بالإيجاب والقبول . وعلى الصورة الآتية :وهي حينما يرغب أحدهم الزواج من ابنة الرجل الآخر يرسل أشخاصا من النساء يستمزجون رأي أوليائها ورأي الفتاة قبل طلبه مبدئيا اصطصحب مجموعة من الرجال ذوي الوجاهة ، ويذهب إلى منزل والد الفتاة أو وليها ومعه ما يلزم من ذبيحة وبرغل وطحين وسمن وقهوة . وهناك عقب الوصول والنزول يتقدم الجماعة أحدهم مخاطبا والد البنت أو اباها هكذا ، جيناك طالبين ومن عندك إن شاء الله ما نعود خايبين .

فيجيب والد البنت : حياكم الله القمرة أمامكم والكلمة قفاكم ، وعندها يعلنون الموضوع الذي جاؤوا من أجله ، وهو على الأغلب يجيبهم إلى طلبهم ، وأنه وهبها الخاطب ، فيجيبه أولياء الخطيب ، إننا نقابل عملك هذا بمكافئة كذا من المال أو الحلال ، ويطول الحديث على المهر وهو ثمن الأبنة ، والمهور عند البدو غالية جدا . فالعروس تشترى بأثمان باهظة . وربما بلغ ثمنها لدى الأغنياء منهم ٦٠ — ١٠٠ ليرة ذهبية — وقد يدفعون ما يعادل هذه النقود من الغنم أو الإبل أو الخيل أو الحيوانات أو

البنادق وكأن ولي الفتاة يشتري بهيمة أو يبيعها .

فإذا ما تم الإتفاق ينادي أحد الحضور أسمعونا الفاتحة ، ثم يضع ولي الخطيب يده بيد ولي البنت ويقول أحدهم للآخر : أزوجك ابنتي فلانة إلى فلان على سنة الله ورسوله ، فيجيب الثاني : تزوجتها . ويبارك الحاضرون . ويقوم أقارب الخطيب ويذبحون رأس الغنم الذي أحضروه . ويقال عندئذ فلان ذبح على فلانة أي خطبها من والديها .

وعند الشرارات وهم من القبائل القضاعية القديمة والقوية في سوريا لايذبح الخاطب ذبيحة بل يقابل الخطيب خطيبته بعد أن يوافق والديها ويضع في قبضتها اليمنى بعضا من الحنطة وتطبق البنت المخطوبة يدها على القمح ، فيقول الشاب : أتقبليني لك رجلا على سنة الله ورسوله . فتجيب قبلتك ، فيقول : بحق البر وخالق البر لاتوق ولا نوق ، هي سنة الله ورسوله ، ورباط العيش ورب العيش أنا لك زوج وأنت لي حليلة .

المهر — حالات خاصة :

عند بعض القبائل الشمالية عند زواج الفتاة من خارج العشيرة تأخذ نصف المهر ولا يتم عقد الزواج ما لم يدفع نصف المهر مقدما — والعروس تأتي معها بجهاز يختلف حسب ثروتها — كما يعتبر بعض البدو تعيين المهر معيبا . ويستعيضون عنه بهدايا لأم العروس وأبيها ،

العرس

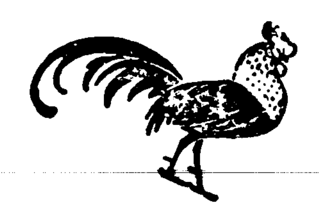
بعد أن تتم إجرأات تجهيز العروس — تعلن ألأفراح لمدة اسبوع تبدأ بيوم الأحد وهذا اليوم من الثقويم المصري القديم فيجتمع في كل مساء الرجال والنساء يغنون ويدبكون معا حتى يوم الثلاثاء أو يوم الخميس لأن الأفراح إما ثلاثة أيام أو خمسة أو سبعة ، وعند انتهاء الأفراح والوداع من أصدقاء الفتى والفتاة ، تتألف القافلة من رجالا ونساءا من أقرباء وأصدقاء العريس ، يركب الرجال على خيولهم والنساء على

هوادجهن ، ويذهب هذا الموكب إلى أهل العروس ، ويكون هؤلاء قد استعدوا لملاقاة الموكب بفرسانهم وخيولهم وعند وصول الموكب يبدأ المحتفلون بغناء . ألأهازيج من كلا الطرفين وينشد الشعراء الزجل والشعر النبطي ويكون موضوعه عن الصلاة والسلام على خير الأنام محمد رسول الله — وفضائل الزواج ، والفخر بمزايا قبائل الزوجين ، وفروسية رجال القبيلتين ، ومحافظة نساء القبيلتين على عفتهن ، ويستمر الموكب ويدعى أول رجل يصادفونه بعد اللقاء إلى ضيافتهم في العرس . وبعد أن يستقر الموكب في منزل والد العروس وتقديم الضيافة والإكرام اللازم ، تقوم النساء إلى خباء العروس التي تكون قد توارت عن الأنظار خجلا ، وبعد أن يعطرنها ويدلكن جسدها بالدهون مع مرافقة الأغاني والأناشيد ، يلبسنها ثوب العرس . وهنا يذبح أحد أقارب العريس ذبيحة خاصة إكراما للنساء المحيطات بالعروس . وبعد الطعام تخرج الفتاة محاطة بوالدتها وشقيقاتها وخالاتها وعماتها إلى باب المنزل حيث يودعها أباها بقبلة على جبينها أو رأسها ويوصيها بطاعة زوجها ، ويذهبن بعد ذلك إلى دار العريس يحيط بالموكب فرسان القبيلة أو القبيلتين . وخلال الطريق يستمر انشاد الأناشيد والأهازيج ويعرض الفرسان العابهم الفروسية وهذا يسمى قطار العرس . وتكون الفتاة راكبة على فرس أبيض وعلى الأغلب تترك الفرس التي تحمل العروس عادة عذراء لهذه المهمات في القبيلة أي وقت الأعراس . ويوضع فوق الفرس جلد خروف أبيض صغير تعده الفتاة ليراق دم بكارتها عليه وتحتفظ به بفخر حتى نهاية حياتها دلالة على صيانتها لعفتها .

تلبس الفتاة ثوب العرس ويكون عادة من القماش الكشمير الحريري المزين بالنقوش الملونة بلأحمر والأصفر وتلبس فوقه عباءة مقصبة تتدلى على كتفيها وقبل ركوبها على الفرس يتقدم بدوي عجوز من رجال القبيلة المسنين ويقدم لها الحمل الصغير الذي يذبح في نفس الوقت بين أرجلها وهي واقفة بجانب الفرس كضحية بهذه المناسبة ، ثم يرسم شعار القبيلة أو وسمها على رقبة الفرس ويعطى الحمل موضوع الإضحية إلى فتاة عذراء تيمنا بزواج قثم تقفز العروس على الفرس القريب منها وتمشي الفرس لتطوف في كل الإماكن المنصوبة خياما للعشيرة . وخلال ذلك تقوم النساء والرجال المصطفين أمام خيامهم بإنشاد الأناشيد والشعر العربي والنبطي

عندها وبعد أن يزور موكب العروس كافة الحي يتجه إلى مكان مضارب العريس برفقة بعض رجال قبيلة العريس وكبار نساء القبيلة من الجماعتين جماعة العريس والعروس وهناك يجري الاستقبال الكبير حيث يصطف كبار رجال القبيلة من الشيوخ والعقداء والفرسان الشجعان وتصطف النساء لاستقبال الموكب . وتقوم أم العريس وبعض نساء القبيلة بالترحيب بالعروس والنساء المرافقات لها وقيادتهم إلى خيمة مخصصة للعريس في هذه الليلة . تدخل العروس الخيمة مع أمها وتبدأ بترتيب أعراضها وكثير من الفتيات تصيبهن الرهبة من هذا الموقف فيبدأن بالبكاء حيث ستترك الفتاة أهلها وعشيرتها . كما ستترك المرح ونصب الفخاخ وغيرها من أعمال الطفولة لتنتقل إلى حياة جديدة مجهولة الأبعاد والمواقف ، بعد أن تترك أمها وإخوتها ورفيقاتها من الشابات الخ . . .

في خارج الخيمة يقوم الشباب والفرسان بألعابهم على ظهور خيولهم ويطلقون النار من بنادقهم وتذبح الجمال وتدعى كافة نساء ورجال القبيلة إلى الفرح الذي يستمر عدة أيام أحيانا وتقوم في وسط منطقة المضارب حلقات انشاد الشعر والتغني ببطولات فرسان القبيلة وشجاعتهم ويجري الحديث أحيانا عن معارك القبيلة السابقة . وذلك بحضور العريس الذي يتشوق بحرقة لملاقاة عروسه وبعد تناول الطعام بحضور العريس يذهب والد العريس ووالدته إلى خيمة العرس حيث يدخل العريس على عروسه بين طلقات البنادق وصياح الشيوخ وزلغطة النساء وألعاب الفروسية التي تستمر حتى الصباح.



الفصل الرابع

ليلة الزفاف عند البدو

عندما يقترب اليوم السعيد يوم الزفاف ، وتقترب اللحظات الحرجة بسعادتها الغامرة التي لن تتكرر بالنسبة للفتاة ، تتقاطر البعران ((الجمال لخيمة أبو العروس لتحمل الجهاز الخاص والذي أعدة أهل العروس ، بينما تنشغل أصدقاء العروس باختيار أفضل النوق وتزين أحلى الهوادج لتركبه العروس في رحلتها إلى خيمة العريس ، .
يغطى ظهر الجمل بشداد رباعي فاخر من الخشب القاسي

كالزان مثلا ، ويثبت بالحبال المشدوده على ظهر الجمل وسنامه ، ويفضل أن يكون الجمل أبض الوبر دلالة الطهارة عند العروس وغالبا ما يكون خاليا من الجروح والقروح سالم الأعضاء دلالة أن على ن الفتاة بكر لم يراق دم بكارتها . ويحمل وسم القبيلة ، يحلى الشداد بالخرج الكبير المنسوج من الصوف الربيعي الجيد ، ويكون هذا الصوف ملونا ليعطي مظهرا مزركشا جذابا بلون أزهار الربيع ، ويوضع للجمل رسن جديد يمثل الحياة الجديدة للفتى والفتاة ، ويمسك الرسن احد عبيد القبيلة أو رجالها الشجعان المتزوجين ، وبعد وضع الشداد والخرج والهودج على ظهر الجمل توضع مظلة الزواج المزركشة التي تزين الهودج ليظهر أنه هودج زواج لاعطفة حرب

على ظهر الهودج تركب الفتاة المخطوبة العروس ، تحيط بها صديقاتها وهن يرجزن الأهازيج التي تمثل شجاعة فرسان القبيلة في الدفاع عن أرضها وتمجد الفتيات بأوصاف الشباب الشجعان بثبات في الحرب وعدم الهروب من المعارك الشرسة الشاب الممتلىء بالرجولة والشهامة والنجدة ، . . . الشامخ الأنف . . الكريم . . . الصفات التي تتمثلها الفتيان في فرسان القبيلة الشاب الأمثل الهادف إلى الحب والزواج . ويتجول الجمل في مضارب القبيلة بين الخيام ليعلن بدء الحياة الجديدة .

خلال ذلك تلتحق باقي الجمال التي تحمل جهاز العروس ، ويتبع الموكب بعض أقارب العروس ، من فرسان العشيرة . إلى أن يصل الموكب إلى قرب مضارب خيام العريس عندها يتوقف الركب لتنزل العروس وتترك الجمل وتركب فرسا بيضاء وهي تحمل بيدها جلد الخروف ابيض ((جلد البكارة)) وهذه الفرس البيضاء الكحيلة كما يطلق عليها البدو ، يجب أن تكون بكرا ، لم تنجب ولم يقربها حصان وتسمى عودة أو الكحيلة البكر . . وتكون هذه الفرس موضع عناية خاصة من كل شبان وفتيات القبيلة لأنهالاتستعمل إلا في حالة الحرب وحالات الزواج .

يوضع جلد الخروف الأبيض على طهر الفرس البكر ، وتجلس فوقه العروس ثم تثبت المظلة التي تنزل من فوق ظهر الجمل لتثبت على سرج الفرس في موضع خاص .

بعد ذلك يسير موكب العروس تتقدمه الفرس الكحيلة البيضلء ، وإشارة ذلك المظلة المحمولة ، يسير الموكب باتجاه دار العريس بعد تجواله على مضارب العشيرة ، وتستمر المسيرة حتى دار العريس ، حيث يتوقف الموكب لتطلق أم العريس الزغاريد فرحا باستقبال العروس ، وزواج ابنها . بينما تعلو أصوات النساء في بيت العريس بإطلاق الأهازيج . تنزلالعروس من على ظهر الفرس ، وتخطو باتجاه أم العريس وتتناول يدها وتقبلها ، بينما تسبق أم العريس الفتاة بوضع قبلة على جبينها وهي تقول ما شاء الله . . . ما شاء ا لله . وتدخل العروس الخيمة .

هنا يتجمع أهل العريس والعروس ويبدؤون بفتح الصناديق ونشر الجهاز ، وتخرج م العروس أو إحدى صديقاتها ثوب العرس ((الزفاف)) ويكون عادة من المخمل الأحمر أو الأزرق ، أما إذا كانت أسرة العروس غنية فيكون عندها الثوب من الحرير الطبيعي المزركش بالنقش الكشميري والمموج بخطوط الذهب والفضة . ولما كان هذا الثوب لايبلى وذو كلفة مرتفعة . فكان ينتقل من امرأة لأخرى خلال عدة أجيال ويكفي بلادنا فخرا أن الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا اليوم قد أوصت على قماش ثوب زفافها من الحرير الطبيعي المصبوغ بالأصبغة النباتية التي تقاوم عوادي الزمن في دمشق . ليبقى بعد ذلك في متحف الأسرة المالكو .

فوق الثوب الحريري أو المخمل المموج ، وعلى الأنوار الخفته ، وخلال الطلال المنبعثة من الحركة الدائمة حول مصدر النور الوحيد في الخيمة ، تقوم والدة العريس بوضع عباءة مزينة بالخطوط الذهبية على كتف العروس ثم يقوم لزوار والأقرباء من الحاضرين بوضع النقوط الذهبية والفضية بلصقها على وجه العروس ، بعد أن تبل باللعاب بواسطة اللسان . وتخرج العروس تجر ذيل ثوبها فوق الرمال باتجاه الفرس الكحيلة البكر .

عند وصول الفتاة إلى أمام الفرس يتقدم البدوي من أحد أتباع الشيخ وهو يحمل خروفا أو حملا حسب مواسم السنة ، فيدني الخروف إلى أقدام الفتاة ويذبحه ليقدم كأضحية لهذه المناسبة السعيدة ، بينما يقوم بدوي آخر بإمساك زمام الفرس كي لاتهرب عند ذبح الأضحية ، ويغمس البدوي يده بدماء الضحية ويرسم وسم القبيلة على رقبة الفرس الكحيلة .

بعدها تقفز الفتاة بخفة على ظهر الفرس التي تسير بخطى وئيده باتجاه خيمة العريس ، ولكن هل العروس وكل المدعوين يقودون الفرس لتمر بكل مضارب القبيلة يرافقها الطبل ، ويضرب عليه أحد المدعوين ((تك)) كبيرة سريعة دلالة الفرح ، ويتبعها ب((تك)) صغيرة ، وبين التكتين فاصلة صمت تعادل ثلاثة أضعاف المسافة الزمنية بين التكتين . وهي بعكس ضربات الحرب القوية والعنيفة والتي تسير على وتيرة واحدة .

وراء الفرس أو بجانبها يقف أحد عبيد القبيلة ويكون طويل الجسم ضخم الجثة . يحمل بيده سيفا أثريا ثمينا تيمنا بسيف الإمام على ابن أبي طالب رضي الله عنه ، وهذا السيف الأثري يتناقل أبا عن جد ويرمز إلى عراقة القبيلة لإحدى القبائل العربية المشهورة ، وقد يبلغ عمر هذا السيف أكثر من ألف عام ، وينشد العبد :

شوفو العذراء الأصيلة .

شوفو عروسة فلان

شوفو العذراء الأصيلة

من أجلها وعريسها الغالي
من أجل فارسنا الأسمر وحبيبته
نسهر ليلتنا الغالية

ويسر الموكب بين خيام القبيلة وكلما ردد العبد أو أحد الحاضرين هذه الكلمات يجيبه الشباب من أصدقاء العريس بإطلاق العيارات النارية المرفقة بالكلمات الحماسية والصيحات الشابوشية ، وتحيات النساء وزغاريدهم . . .

لدى انتهاء الموكب من المرور على خيام القبيلة تترجل الفتاة من على ظهر الفرس . وتحمل بيدها جلد الخروف الأبيض وتختفي في جناح الحريم لتصلح ما فسد من زينتها ، بينما يكون أصدقاء العريس المشاركون له في خيمته قد أتموا الباسه الألبسة الخاصة به ، فينهضون جميعا للإنصراف وهم يودعون العريس بقولهم : نشاط نشاط . . . الله معك . . الله معك . . . .

وعندما يغادر آخر الشباب الخيمة ينادي العريس عروسه فتدخل ومعها الجلد الأبيض . . . وتغلق استار الخيمة ، دلالة على اللحظات السعيدة المفعمة بالحياة ولتستمر إلى آخر الحياة .

في نفس الوقت تتوالى الطبول في دقاتها المفرحة بنبضات سريعة حيث لاتسمع الأصوات ، وتكون الجزور قد ذبحت والطعام قد جهز فينصرف المدعوين إلى ملء بطونهم . وإنشاد الأناشيد الغرامية ، وبعد أن ينتهي الرجال من تناول الطعام بحسب مراتبهم ففي الدفعة الأولى الشيوخ وكتاب عقد النكاح ثم رجال الدين والعلماء ، ثم يتوالى المدعوين حسب مركزهم الإجتماعي وشجاعتهم وفروسيتهم وسنوات عمرهم الـــخ . . . .

الفصل الخامس

زواج الخطف

بسبب غلاء المهور وخاصة عند البدو يقوم فقراء البدو من الشباب بخطف البنت إذا كانتة ترغب بالشاب لذا يقال : (فلانة خطفت فلان) . ولا يقولون فلان خطف فلانة ولا يكون الخطف إلا للفتاة العازبة ويكون الخطف على الغالب برضى الطرفين أما المرأة المتزوجة فلا يصح خطفها وعقوبة الخاطف الإعدام لأن هذا نوع من الزنى لايقره الشرع الشريف ويعاقب عليه .

قد يعشق فتى إحدى الفتيات ولا تبادله الحب ، فيترصد الفتى للفتاة التي يعشقها ويرغب بالزواج منها ويسحبها دون رضاها أو دون رضى أهلها وذلك بالتهديد واشهار السلاح ويهرب بها إلى مكان بعيد ويعتدي على عفافها ، ثم يأتي إلى شيخ إحدى العشائر القوية ويطلب منه أن يحميها . الحديث حول مصالحة أهلها ليرضو بزواجه من ابنتهم ، وهذا الخطف يعرض الفتاة للقتل انتقاما للشرف ولا ترضى به الفتاة وقد تنتحر لأن هذا العمل يسيء اليها كثيرا كما يعطي أهلها الحق في أن يستعملوا مالهم من حقوق وفق العرف البدوي كما يجري في أمر الزنا الجبري ،
وقد يكون الخطف نتيجة تعارف فتى وفتاة ، وتبادلهما الحب ورفض أوليائهم الزواج بسب الإختلاف في التكافؤ في المركز الإجتماعي أو القبلي أوالمادي أو غيرذلك ، عند ذلك يقرر العاشقان الخطة الواجب اتباعها ويضربان موعدا مع إثنين من الشهود من أصدقائهما ، ويذهبون إلى أقرب شيخ من مشايخ العشائر . ويعرضون عليه أمرهما ، فيقوم الشيخ أولا باستجواب الفتاة المخطوفة أو الخاطفة لافرق ، ويتأكد من رضاها بالزواج من الشاب الخاطف ويتحقق من الصديقين أن لازوج لها ، فيستدعي في الحال إمام العشيرة أو أحد رجال الدين الموثوقين ويكلفه بعقد النكاح ، وإذا لم يكن في الديرة

أمام أو رجل دين يقوم الشاب بذبح رأس غنم قائلا (اللهم حلل لي هذه الأنثى كما حللت لنا هذه الشاة) عند ذلك يخلي لهم شيخ العشيرة خيمة خاصة من مضارب العشيرة ويزفهما كعروسين . ويقوم الشيخ بعد ذلك وبجميع الوسائل بعقد الصلح بين الخاطف وأولياء العروس ولو اقتضى الأمر أن يدفع من جيبه الخاص بدل الصلح ، باعتبار أن عمله هذا من نوع البر والإحسان الممتاز ،

فور وصول النبأ إلى أهل الفتاة المخطوفة تثور رجال عشيرتها ويجمعون رجالهم ويحاولون الإعتداء على أقارب الخاطف واسرته . وتستمر اعتداءات على الأموال والأملاك مدة ثلاث أيام وثلث ، إلا إذا تدخلت إحدى العشائر الحيادية وحالت دون النهب والقتل والإعتداء على الأموال والأملاك ،وفي أكثر الأحيان عندما يعلمون أن الخطف وقع برضى ابنتهم ، يسكن غليانهم ويكثر العقلاء من النصح بالتريث ويطلبون منهم الإسراع في الصلح وطمر القضية ، ويكون الصلح مقدار من المال أكثر من المهر المعتاد ،أما إذا كانت المرأة متزوجة وكان الزواج غصبا عنها ، أي ناشزة ، فيعطى لزوجها مقدار المهر الذي دفعه ويطلب اليه تطليقها فورا وما زاد عن ذلك يكون من حق أوليائها . ويقوم زوجها بطلاقها فورا ، لأنها ناشز .

في حال تعنت أولياء المخطوفة عن المصالحة فللشيخ الذي إلتجأ اليه الخاطف أن يستدعيهم إلى أي قاض بدوي متعارف عليه . وله أن يستعمل كافة الوسائل لإرغامهم على المقاضاة ،وغالبا ما يكون حق القضاء إلزام الخاطف لدفع مبلغ من المال يزيد عن المهر المعتاد .

إن هذه العادة المنكرة خفيفة الوقع بالنسبة إلى البنات المخطوفات برضائهن نتيجة لغلاء أهلهن في طلب المهور فالزواج المستحسن في الإسلام أيسره نفقة مع التكافؤ . ويكون هدف البنات من ذلك أن يتزوجن وينسترن . ولكن هذه العادة منكرة ومرزلولة ومخالفة للشرع الشريف إذا كانت المرأة متزوجة وعندها قد يحجم أي شيخ قبيلة عن حماية المرأة والشابِ وغالبا ما تنتهي الحادثة بالهرب دون العثور على أثر لهما . أو بالموت

الفصل السادس

الزواج الريفي

يرافق الزواج وحفلة العرس في الريف الاحتفتلات التالية :
الرقص بالسكاكين وخاصة في القلمون
الحكم أو العب السيق والترس في الغوطة ووادي بردى
سياق الخيل وضرب الجريد
الدبكة مع صوت المزمار والمنجيرة والمجوز والغناء على الربابة آخر الليل

الولائم وافراح

جرت العادة أن يقوم اصحاب الثروات والمكانة الرفيعة بإقامة الأفراح والولائم خلال أيام الأعراس لمدة تتراوح بين ثلاثة أيام إلى أربعين يوما حسب نسبة الفرح والغنى ،وخلال أيام الفرح يأكل كل أهل القرية في دار الفرح وتجري خلال أيام الفرح الدبكات والسهرات وأغاني الفرح والزجل وكل ذلك في دار والد العريس ووالد العروس . ويقدم متوسطو الحال خلال ثلاثة أيام اللحوم مع البرغل أو الرز أي ما يسمى كبسة بالتعبير السعودي . أما الأفراح في دار العريس من الفقراء فلا تدوم أكثر من ثلاثة أيام يقوم خلالها أهل البلدة الفقراء مثلهم بتقديم الكعك والخبز الموشى باللوز والسسكر انتقال العروس إلى بيت العريس : بعد انتهاء أعمال التزيين للعروس وانتهاء صمدة الوداع في صدر بيت أبي العريس يحضر وفد من أهل العريس لمرافقة العروس إلى مكان العرس وفي الطريق يرافقها مجموعة من الشباب والأولاد ينشدون الأهازيج يرافقهم الطبل والزمر واطلاق الرصاص . أقول عند وصولها إلى قرب بيت العرس يذبح لها أمام الباب ذبيحة وتدهن بها رقبة الفرس وتقفز العروس فوق الدم لتدخل بيت العرس . ويعتقد العامة أن السير فوق الدم مجلبة للخير .

وعند دخولها الدار تعطى قطعة من الخميرة لتلصقها فوق باب البيت دلالة على التصاقها الأبدي ببيت زوجها ، كذلك تعطى مجموعة من الملبس والحلويات لتوزعها عاى المرافقات لها من العازبات ، ويعتقد الجمهور أن من يأكل من هذه الحلويات يتزوج بسرعة ، وإذا كان متزوجا يتزوج مرة ثانية .

كذلك تعطى مسمار لتدقه على عتبة باب الدار وادخاله في الأرض وذلك دلالة على غرسها في الدار كالشجرة لاتقلع . كما أنها تدخل معها (شقفة زريعة) ليكون البيت ممتلىء بالسعادة والسرور .

وبعد دخولها إلى المنزل لايجوز أن تخلع حذاءها إلا بحضور طفل جميل ليجيء أولادها ذكورا مثله ، أما إذا خلعته وهي تنظر إلى نساء مدعوات فإنها ترزق ببنات فقط

أما عندما تصل إلى باب المنزل يحاول الشباب إنزالها من على الفرس ولكنها تتمنع بشدة حتى يحضر أبو العريس ويأخذ الأمور على عاتقه ويهب لها عنزة أو بقرة أو شجرة زيتون .

بعد دخول العروس إلى منزل العرس تقدم لها أم العريس الشراب شراب الورد فتشرب الحماة أم العريس الثلث وتشرب اخوة العريس من البنات الثلث وتشرب العروس الثلث الأخير لتبقى حلوة في قلب الجميع أي يبقى أهل العريس حلوين على قلبها .

بعد ذلك تبدأ الصمدة والدوسة كما في العرس الدمشقي .

لعب الجريد والنيشان :

إذا كان بيت العريس بعيدا عن بيت العروس أو في بلدة أخرى فإن العادة جرت أن تحضر كوكبة من الفرسان لمرافقة العروس والجهاز وأهل العروس والمدعوات من أقاربها وصديقاتها وذلك خوفا من الاعتداء على العروس أو خطفها . وتركب العروس على فرس بيضاء اللون كما في الزواج البدوي ، تزين الفرس بالشرائط الملونة الحمراء والصفراء والخضرا ء وتحمل العروس منديل أبيض تلوح به للمودعين ، وبعض القرى تعلق على رقبة الفرس فردة حذاء صغير منعا للعين الحاسدة .

وهنا تجري ألعاب الفروسية التالية بين شباب بلدة العروس وشباب بلدة العريس :

الجريد : ويسمى الجريد لأن الفائز يضرب منافسه المسبوق بسعف النخل أي الجريد ولكن الآن تبدل وأصبح يطلق للفائز الرصاص في الهواء اعترافا بفوزه . وإذا لم يحرز الفوز أحد من أهل العريس أو فرسان قرية العريس فإن على أهل العريس أن يسترضوا الفرسان السابقين من قرية العروس بخلعة لكل منهم ويعتبر هذا معيبا بالنسبة لقرية العريس .

النيشان أو اصابة الهدف وغالبا ما يكون الهدف عبارة عن بيضة دجاج معلقة بشجرة بواسطة حبل ويتنافس الشباب في اصابة الهدف ، والشاب الذي يفشل في اصابة الهدف عليه تقديم هدية إلى الفتيات العازبات من رفيقات العروس .

الحكم وهي لعبة السيف والترس و هذه العادةانتقلت إلى إلى الغرب أثناء الحروب الصليبية ،واصبحت تدعى بالمبارزة : ويدعى عادة لكل مبارز حكم .بنصفه ويفصل بين المتبارزين إذا اختلفا ولذلك سميت اللعبة بالحكم والمبارزة في بلادي بالسيف والترس أو بالسيفين معا لا بالرماح كما في أوربا القرون الوسطى . وهي لاتؤدي إلى القتل إلاّفي حالة الحرب .أما في الإفراح فيكتفى بشارة على الجلد يسيل منها الدم دون أن يتأثر اللحم .أما إذا تأثر اللحم أو الأوردة فإن ذلك يعتبر عار على الفارس الذي قام بالعمل وعليه أن يدفع التعويض المناسب . ويستمر لعب السيف والترس طوال الطريق وتتخلله ألعاب القفز والحركات السريعة التي تدل على تمرس أهل العريس والعروس بالشجاعة والخفة والمرونه .

الدبكة

وهي على أنواع منها الدبكة الجوفية نسبة إلى مدينة الجوف التابعة لسورية في العهد العثماني وهي الآن في المملكة العربية السعودية ، وتسمى أيضا الدبكة التنوخية وهي أيضا منتشرة في شمال سورية ، وفي هذا النوع من الدبكة ينقسم الشباب إلى قسمين متقابلين ويتشابكون بأيديهم ويرجعون إلى الوراء ثم يتقدمون إلى الأمام ويدبكون بأرجلهم والشخص الذي يأمر الدبكة ويسيرها ويكون على يمين أحد الصفين يسمى

اللويج بينما يتحلق المدعوين للعرس أو للبرزه على شكل دائرة يصفقون بأيديهم وفي أكثر القرى في سورية يدبك الرجال والنساء معا ويتشابكون بالأيدي . أما إذا كانت العائلة متدينة فيدبك النساء لوحدهم في صف واحد والرجال لوحدهم في صف آخر ، وفي كلا الحالات يقف الدابكون بصفوف متعاقدو الأنامل يحركون أيديهم وأرجلهم رفعا وخفضا وطيا ونشرا بحركة واحدة . ثم يديكون أي يقرعون الأرض بأقدامهم قرعا متوازنا في شدته وخفته وعدده مقبلين طورا ومدبرين طورا آخر وهم يصيحون : هي : هي : هي ويبقى الكبار بالسن والصغار حولهم يصفقون بقرع الأكف مع انغام المزمار أو المجوز . . . وهم متحلقون على شكل دائرة وخلال الدبكة يقوم الشاب الشاب المصطف على اليمين برفع منديل في يده ملوحا به في الهواء . وخلال هذه الأوقات يستمر الطبل الكبير في البلدة باعلان الفرح بضرباته المتلاحقة مرافقا للدبكة حينا وأحيانا أخرى ينادي لوحده أن أيام الفرح لا زالت مستمرة . وضارب الطبل يكون عادة أحد القرباط البوهيميين المتجولين حول القرية في الربيع أو موسم الحصاد . وفي كثير من الأحيان يحضر معه الغازية التي ترقص كل يوم من أيام الفرح عدة وصلات من الرقص . وقد يحضر حفلات الدبكة منشدي القرادي والشعراء الزجليون ويتبارون في انشاد الشعر أو الزجل ويعدون مفاخر العريس ويلمحون إلى نقائص بعضهم لإثارة الحماس والاهتمام بين الحاضرين .

رقصة السكاكين : وهي من بقايا التقاليد اليمنية أي عرب الجنوب عند سكان سورية وهي رفصة تنم عن التقدير للفروسية وخفة الحركة ، وأكثر ما تكون هذه الرقصة في منطقة القلمون وتسمى أيضا رقصة الرط ويقوم بها شاب واحد أو عدد من الشباب بآن واحد . يحمل الشاب بيدة سكينا أو سكينتين لامعتا النصل ويلعب بهما بحركات خفة سريعة على أنغام ايقاع معين سريع الضربات المتلاحقة ، ويتقدم من العريس أو الاقطاعي أو الشيخ وهو يسرع بهذه الحركات محييا وملوحا في وجهه بالسلاح وعند انتهاء الرقصة يهوبر المجموع بقولهم :

كانت الصحايف صحايف العريس طيب الله وشو ما شاء الله
لعيون العريس لعيونه ربي يزيدكم فرح هونه ما شاء الله

وبعد أن تدخل العروس إلى دار العرس تكوت الصمدة كما في العرس الدمشقي . وخلال الصمدة تقوم أم العريس بدعوة مدعواتها إلى الرقص . وعادة تتمنع الفتيات عن الرقص ثم تجيب أما إذا رفضت فإن في ذلك احراج لأم العريس وإذا تمنعت أكثر المدعوات عن الرقص كان ذلك مدعاة لأم العريس أن تجلس جانبا كاسفة الوجه وتدعو البنات هذه الحالة بأنها مطوزه أو طوزا . . . . وتقوم العروس قي هذه الحالة بالرقص لتفك طوزة أمها أو حماتها وعندها تجيب الحاضرات بالزغاريد مدحا للعروس وحسن أخلاقها وجمالها

وعند حضور العريس تبدأ الجلوة وترقص العروس في الجلوة عادة ويحمل العريس عادة معه رغيف من الخبز يتقاسمه مع عروسه أمام الناس ويعتقد أهل القرى أن ذلك يؤدي إلى العيش موفور الرزق .

وخلال العرس يقدم العريس بعضا من الحلي المطعم بالأحجار الكريمه ويعتقد العامة بالمعاني الكامنه في الأحجار الكريمة وهي :

الماس : يقي من الغيرة

الياقوت : يعطي حامله الحكمة

اللازورد : يطهر القلب

الزمرد : يجلب السعادة

العقيق : يسعد الأولاد

اللؤلؤ : يمنع الخصام

الفيروز : يديم المحبة

وفي كتاب أبي معشر الفلكي : أنك إذا صنعت خاتما والقمر في برج من أبراجه ونقشت عليه اسما من ملوك الجان وبخرته بنوع من البخور ولبست الخاتم في اصيعك اصبحت مقبولا حيثما توجهت لدى أصحاب الجاه والنفوذ . بعد انتهاء الجلوة يدخل العريس والعروس إلى غرفة الخلوة ،ومن التقاليد عند دخول الزوجة إلى الغرفة وضع خنجر على عتبة الباب لتدوس عليه العروس برجلها وتعلق في أعلى الباب طاسة ماء وتمر

لتمر من تحتها العروس والعريس ، ويعتقد العامة أن هذا العمل يجعل معيشة الزوجين بمنتهى السعادة خلال الحياة الزوجية موفري الرزق والصحة . وكل هذه العادات هي بقايا الماضي ولم تعد ذات قيمة في هذه الأيام وإذا طبقت فمرضاة للكبار من الجدات المسناة . وهدف هذه العادات تمتع العروسين بالحياة السعيدة لأن الحب بين الزوجين لايدوم طويلا وقديما قالوا : لو كانت المحبة بين العريسين بتدوم كانت القيامة ما بتقوم . والرجل جنا والمرأة بنّا . والعلاقات بين العريس والعروس تمر في مراحل كثيرة فأم العريس تعتقد أن المرأة كالحصيرة يجب نفضها كل مدة لتلقي بلأفكار الوسخة من عقلها أي ما يسمى عند العامة تنظيف السجادة ، والمرأة تتوقع من الرجل الخيانة والغدر بالزواج من أخرى وقالوا قديما :

حامض حلو طبختلك
وبرا وجوا فرشتلك
لكن درب التبانه ماحسبتلك .

بعد الدخول إلى غرفة الخلوة من عادات القلمون شمال دمشق ووادي بردى أن يأمر العريس عروسه أن تتمدد على الأرض ويفشخ من فوقها ثلاث مرات ليشعرها بنفوذه وسلطته .

بعد ذلك يجري فض البكارة كما سيأتي في الزواج الدمسقي أي في المدينة . في صباح يوم العرس تأتي أم العروس بدجاجة محشية بالرز واللحم والصنوبر والفستق ، هدية للعروسين فيأكلانها وتسمى دجاجة الحماية .

وفي ضحى اليوم التالي يحضر أصدقاء العريس للتهنئة ويمسكون بالعريس ويربطونه باحدى الأعمدة وينادون لأم العريس منشدين :

فكي ابنك ياأم العريس   ابنك يتهنى ويعيش

أما إذا لم يستطع العريس فض بكارة العروس ليلة الدخلة فيعتقد كثير من الريفيون وسكان المدن أن ذلك ناتج عن أن العريس مربوط أو من عين الحاسد ولتلافي ذلك تخيط الخياطة ثياب العروس بخيطان غير معقودة . ويعتقد البعض أن وضع خنجر تحت زنار

العريس يفك العقدة ومنهم من يعتقد أن العقدة نتيجة إقدام بعض السحرة على ربط العريس وذلك حسب الطرق المتبعة في أساليب الربط وهي : ١ – الكحل ويذر في الماء أثنا عقد القران وكان اليهود في قرية جوبر ينصحون بمزج الكحل بمخ الحمار فوق نار خفية مع قراءة إحدى العزائم الخاصة من سحر سحرة فرعون في مصر القديمة ويغلف المزيج بقطعة من القماش تعلق في ثياب العريس أما مسلمي جوبر من القيسين فيرمون الكحل في النهر بعد قراءة الآية ويسألونك عن الجبال أربع وثمانون مرة

أما الطريقة المتبعة لدى الدجالين من علماء السحر في دمشق فهي عقد خيط من الحرير وتقرأ عليه بعض الرقيات ويربط في رجل عصفور ويطلق في الهواء ويعتقدزن أن هذه هي الطريقة التي سحر بها لبيد بن الأعصم اليهودي وأم عبد الله ابن سبأ اليهودية الرسول صلى الله عليه وسلم بإحدى عشر عقدة في قز أحمر وأخضر وأصفر وجعلاه في قشرة موز وأدخلاه في بئر بالمدينة ، فأقام الرسول ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولايسمع ولا يأتي النساء .

وهذا العمل حرام وممنوع في الإسلام ويجب على من يعرف شيء عنه أن لا يعلم به أحد لأنه من مكر اليهود وممكن أن يستعمله بعض الجهلة لهتك المحصنات ، وذلك يشكل فتنة وشرا مستطيرا ، لأن كل أعمال وحوادث الزواج هي البحث عن السعادة وليس توزيع الآلام وتعقيد النفوس .

وقد أمسك أكثر المنصوفون عن هذه الأعمال والطقوس لخوفهم من عذاب الله في الدنيا والآخره .

الأغاني والزلاغيط خلال العرس والكتاب والأفراح :

أوها ياعريس يابطل الميادين

أوها يامفرق العيش مطعم المساكين

أوها انت وعروسك زوج أقمار على مخدة

أوها في ميزان الجمال أنت عينه وهي عينه . لالالاليش

أوها ياعريس محلا الجمع في دارك

أوها سيفك مسلط وسكينك بزنارك

أوها عيشك ممدود ياكل منه زوارك
أوها كلهم يشكرن ويكتم أسرارك . لالالاليش
وخلال العرس تدور الزلاغيط التالية :
ياعريس لاتندم على المال
عروستك حواجبها خطين قلام
وحواجبها قوص محنية
تسوا بنات عمك مية على مية . لالالالاليش
أوها ياعروس قيمي هالغطا وارميه
أوها يسعد يللي حبوك ويلي سعا فيه
أوها والوجه دورة قمر والعين تغزل فيه
أوها والخصر شلّة حرير والعريس ساح فيه . لالالالا ليش
أوها ياعروس ارفعي راسك
أوها لا تستقلي ناسك
أوها والورد حمرة خدودك
أوها والياسمين فراشك . لالالالاليش
وتنادي أخت العريس :
ياعالم لاتلوموني بعرس العريس هنوني .
وتنادي أم العريس
أوها عيشنا وافي أوها وبيتنا دافي
أوها وتعشوا يا أحبابنا أوها صحتين وعوافي لالالالاليش
أوها ياعروس وجهك زينة الأقمار
أوها ياما رميتي قلوب الحاسدين بالنار
أوها فمك ينقط عسل مجني من الأزهار
أوها والخصر من رقته ما يحمل الزنار . لالالاليش
--أوها : أهلا وسهلا فيكم ياضيوف أعزاز

أوها انتم على قلوبنا أحلى من الألماز
أوها اغلا من البن أعلا من طيور الباز
أغلا من الذهب لو كان صاحبه معتاز . لالالالا ليش .
أوها ياعريس لاتعبس
أوها فريد البقجة والبس
أوها شواربك عروق الريحان
أوها وسوالفها عروق النرجس ، لالالالاليش .
أوها ياشجرة المنتهى
وها عالحب ما بصبر .
أوها قلت قلبي داب
أوها عالحب ما بصبر . لالالاليش .
أوها ديارنا كبيرة
أوها ودرج الحمام فيها
أوها وأم العريس فرحانة
أوها والله يهنيها . لالالاليش .

أوها وسعيد ياخد سعدية
أوها وابنا ياخد الصبية
أوها وميدان وشاغور واحد
أوها صلوا على خير البرية . لالالاليش .
وفي خلال مجيء العريس إلى العرس ينادي رفاقه :
ياسباع البر حومي
اشربي ولا تلومي
اشربي من بير زمزم
ياسلام وياسلام

ياسلام اضرب سلام
عليااللي مطلل بالغمام
غيمتو ما لمتو
غيمتو الشيخ رسلان
شيخ رسلان يا شيخ رسلان .
ياحامي بر الشام .
والويل ليلي يعادينا .
وسيوفنا بأيدينا .
يافرنسي ارحل عنا .
نحنا رجال بر الشام .
ويا سلام وياسلام



الفصل السابع

العرس في الريف الدمشقي

إن العرس في الريف الدمشقي هو بقاياالعرس البدوي ، تتخلله ألعاب الفروسية وسباق الخيل وغير ذلك من اللأعيب القديمة وكذلك اغاني الدبكة اليمانية القديمة . وذلك لأن أهالي الغوطة هم من القبائل العربية المحافظة على التاريخ والعادات والثقافة القومية إضافة إلى التقاليد الدينية الاسلامية والمسيحية . فأهالي منطقة دوما من التغلبيين وحرستا من الغساسنة والمليحة وزبدين وصحنايا وداريا والمزة وقسم من وادي بردى من الحلف الكلبي ، وباقي وادي بردى من الجذاميين والحميريين وقبيلة مراد . وسقبا وحمورية وما جاورها من الطائيين إضافة إلى قلة من الأكراد والشركس من بقايا العصر الأيوبي والمملوكي . . . .وهذا الزواج في الغوطة هو نفس الزواج البدوي مع بعض التعديل نظرا للظروف المادية والأجتماعية والجغرافية

في الريف الدمشقي كان الشباب يتقابلون في الأعياد والافراح والمآتم إضافة إلى اللقاء اليومي على العين .ينشأ الحب الطاهر العفيف الذي يؤدي إلى الزواج ، والزواج في الريف يبدأ في سن مبكرة فالأم أ قصى أمنياتها أن تزوج ابنها ليكون عندها كنة تساعدها فب أعمال المنزل الكثيرة والمضنية ، وعادة ماتطالب الأبن وتقول له بدي جوزك قبل ما موت . وتطالب الأب بالموافقة على أن تبحث لابنها عن عريس أي الخطبة فيوافق الأب على ذلك إذا كان المحصول وفيرا والسنة سنة خير أما إذا كانت السنة جدباء فيؤجل الموضوع إلى العام التالي .

أما الإبن فيوافق بعد تمنع ودلال ويطلب من الأم أن تساعده باقناع أباه بالموافقة على دفع المهر وبذا تفرح الأم لأن كنة ستساعدها في أعمال المنزل وستر أولاد ابنها في الدار

وقديما يعتقد أهل الريف أن الدار التي تخلو من الأطفال لاتزورها الملائكة . كما يفرح الأب أن يرى أبناء أولاده ليكون له عزوة كبيرة في المستقبل تخلد اسمه .

يعين الأبن اسماء بعض بنات القرية المشهورات بالجمال والملاحة وحسن الأخلاق ، ويقول لأمه فلانه مليحة وفلانه جبنه بيضاء وفلانه شوكولاته الخ . . .

وهنا تعمد الأم إلى استشارة الأب حول النت التي يرغب زواج ابنه منها ، وكثيرا ما يرغب الأب أن يتزوج ابنه من ابنة عمه كي لاتنقسم اراض العائلة ولكن ماكل ما يتمناه المرء يدركه ز

وهنا لاتعمد الأم إلى خطبة البنت مباشرة خوفا من رفض أهلها ورفض الزواج في الريف يعتبر أهانة كبيرة للأب ، لذلك تعمد الأم إلى جس النبض بواسطة نساء أخريات من أقاربها و أصحابها وذلك بالسؤال إذا كانت البنت مخطوبة أو إذا تقدم أحد لخطبتها ، أو إذا كان أحد أولاد عمها راغب بها أو أن أحد إخوتها يقف في طريق زواجها ليستغل حصتها من الأرض الخ . . . أو أن صرتها مقطوعة للزواج من فلان لأن هذا يشكل وعدا بالزواج إذا رضيت الفتاة .

وعندما تتحقق أم العريس من أن الفتاة حرة أي غير مخصصة أو موعودة بالزواج من أحد تتفق مع بعض الجارات والقريبات من النساء المسنات بالعيلة على الذهاب إلى بيت العروس للخطبة ويرسلون إلى أم العروس لتحديد موعد للزيارة وفي الموعد المحدد تدور المناقشات التحضيرية لقيام الرجال بالمرحلة ألأساسية بإجراءات الخطبة الرسمية .

عند زيارة أم العريس لبيت الفتاة تتردد أم الفتاة في كل مرة وتتمنع كأن تقول والله مهرنا غالي ، أو ماذا يعمل ابنكم ، وهل يستطيع إعاشة البنت ، وهل ممكن أن ينفصل عن أبيه لأننا لانزوج البنت ليتحكموا فيها بيت الإحماء . . . . . وكم من الأرض يملك الأب وكم من الأرض يمكن أن يكتب كصداق للعروس . . . الخ . . . ثم تسأل عن التكافؤالمالي ويسأل أهل العروس عن الشاب : فنخاف تكون عينه لبره ، ابنكم بينزل على الشام كتسر ليكون عشقان واحدة شامية ، هي ما يتاخده لكن بتنغصله حياته . فتجيب أم العريس : ابنا مثل الملايكه من الأرض للسوق ومن السوق للدار ما بيخرج

عن شور أبوه اسألو عنا نحنا منحب الكنة وبيت الإحما وبيت عز وجاه شرفونا وبتشوفوا ما يسركم . وخلال ذلك تقوم الفتاة بتقديم القهوة والحلويات أو الفاكهة ولا تظهر إلا للمحات قصيرة نراقب خلالها النساء الحاصرات تصرفاتها وحركاتها وهدوء أعصابها ومقدار ليونة جسمها وخجلها الخ . .

ففي قرية جرمانا مركز التنوخيين العرب الموحدين بوحدانية الإله . يعلن في اجتماع الخطبة والد العريس أنه وأقاربه يحبون الجواهر اللماعة الصافية الجميلة ، وقد خبروا أن عند والد العروس جوهرة بهية غالية الثمن مقصدهم يطلبونها وأملهم بالحصول عليها كبير لما بين العائلتين من روابط المحبة والأخوة . فيجيب صاحب البيت بعبارات الترحيب والشكر ويقول لعلها عند جاري فلان ، أو جاري فلان وكله من المجاملة وتتخلل المجاملة عبارات المرح والترحيب : يعلم الله شرفتو يعلم الله آنستو حضرتم وما حضر واجبكم . . . . وكذلك عبارات المرح والغمز والممازحة . . . وبعد كثير من التمنع يبدا الحديث الجدي ويحصل الاتفاق إذا كانتا البنت راغبة فيقول الأب جازت . . جازت . . . أي أصبحت جائزة ومسموح بمتابعة اجراءات الزواج . فيقول الموجودين من الحاضرين مبروك عقبال الفرحة الكاملة عقبال كل العزاب . . . . وهنا يتفق على السداق أي المهر وهو على قسطين معجل ومؤجل وهنا تتلى الفاتحة مع ذكر اسم الشاب والفتاة ثم يجري كتابة العقد من المأذون وتعمل عائلة العروس على إعداد الجهاز وتنتظر الفتاة موعد الردة أي العرس .

وبعد اجراء الاستخارة كما في الزواج الدمشقي يجري تحديد موعد العرس بعد دراسة الوقت السعيد المطابق للبروج والنجوم ليكون العريس والعروس حياة هنيئة ورغيدة ويحرص الشيخ الذي يدرس أوقات السعد والنحس أن يكون العرس أيام الخميس والجمعة أو الإثنين على أساس أنها أيام السعد لأنها أيام فضيلة . . . ويستبعد البعض اجراء الزواج في نيسان حتى لايتشبه بالوثنيين الذين يكثرون من الزواج في عيدي النيروز وشم النسيم .

وفي بعض المناطق يرسل أهل العريس كمية من الرز أو البرغل والسمن إلى بيت العروس لحفلة الخطبة وهذه العادة من بقايا المراسم العشائرية كما في الفصول السابقة .

وخلال ذلك يحضر المدعوون ويأكلون ويشربون ويغنون حتى المساء حيث تعلن خلالها الخطبة ويرافق ذلك حلقات الدبكة ويكون العريس قد اشترى من المدينة محبسين للخطبة نقش على كل منهما الحرف الأول من اسم العروس والعريس ،حيث تقوم أم العريس بإلباس الفتاة المحبس الخاص بالخطبة مع اسوارة مبرومة أو دبابة أو غير ذلك من الحلي . وعندها تقبل الفتاة يد أم العريس حماة المستقبل وتدعو لها بطول العمر والصحة والسعادة والهناء .

ولا تطول الخطبة في الريف إلا قليلا لأن ذلك يكلف العريس الكثير من الهدايا . . منها

خلال أعياد البيض يرسل العريس كمية من البيض للعروس خمسين بيضة على الأقل ، في رمضان يرسل العريس الحلاوة والغريبة والبرازق وليرة الله وفي الأعياد قطع القماش وغيرها . أما قطع الذهب والحلي والغوازي فيحتفظ بها للعرس .

الجهاز :يقوم أهل العروس بتحضير الجهاز ويتألف من :

١ – الصندوق الخشبي المزخرف بالصدف أو الموزاييك
٢ – لحف ومخدات وحرامات وطواطي .
٣ – دلة للقهوة وفناجين .
٤ – ابريق شاي مع صينية وكاسات .
٥ – ابريق الوضوء مع المناشف وطست لجمع الماء .
٦ – ابريق الحمام ومكنسة .
٧ – طبق حديد للغسيل .
٨ – بشاكير ومناشف ومماسح . . . .
٩ – صحون ملاعق سكاكين طناجر . . . .
١٠ – بابوج – ليف حمام كيس تفريك للحمام
١١ – بسط سجاد حصيرة .
١٢ – تنك لحفظ البرغل والرز والسكر والرز .

١٣ — مطربانات للمونه (قطرميزات) .

١٤ — غربال ومنخل وصاج للخبز

١٥ — مراية وقداحة وابر وخيطان لرتق ثياب العريس والعروس .

وفي يوم العرس أو قبليه بنهار يبسط أهل العروس الجهاز في غرفة خاصة إذا كانت الدار واسعة ويمكن أن يكون العرض في بيت العريس بعد نقله . وتدعى سيدات القرية في النهار ورجال القرية مساء للإطلاع على ما أعد للعروس من جهاز وبذلك تكون مقتنيات العروس أو جهازها معروفا من الجميع إذا حدث ما يؤدي إلى الانفصال لاسمح الله . وأحيانا يعمد أهل العروس إلى وضع مقتنياتهم ضمن هذا الجهاز أو إلى استعارة البعض الآخر لاظهار الفرحة بزواج ابنتهم ولاخفاء قلة ما لديهم من المال . . . . وحين حضور الزوار والمتفرجين يقدم لهم حلوان التحويجة من الملبس والحلوى والمعجنات بالإضافة ألى القهوة والشاي . . والكل يقول زواجه مباركة عقبال العزاب وتقابل هذه الدعوات من قبل أهل العروس بالشكر والامتنان .

ويتألف جهاز العروس من :

١ — بدلة جوخ للعريس — كلابية أو قفطان .

٢ — سراويل واسعة من الجوخ للشتاء والقطن للصيف (دولس) .

٣ — الدامر .

٤ —الصدرية المزركشة بالحريروخيطان الذهب ذات ازرار كثيرة تقابلها عرى من الحرير بعددها ، ٥ —الفرشاة وبساط الصوف

٦ —ادوات المطبخ طناجر معاجن .

٧ — فروة أو جبة إذا كانو من الأغنياء .

٨ —الحرامات واللباد .

٩ — قميص وسروال من الصوف مغزول ومشغول بالسنارة الواحدة بيد العروس .

١٠ — قمباز طويل تزينه أزرار نحاسشية صفراء مشقوق من الأمام والأكمام عريضة ومشقوقة من الجانبين عند فتحة اليد للكمين .

١١ – أشغال الإبرة من المناديل والقمطات والستائر المطرزة الخ . . .
١٢ –أشغال الكنافاة بالسنارة الواحدة .
١٣ – مجموعة من الطواقي القطنية والصوفية للشتاء والصيف .

وعند العصر وبعد انتهاء الحنة والنقش والحمام تبدأ زينة العروس وتشمل الأشياء التالية :

١ – الأوراق الحمراء أو الذهبية على وجنتيها وصدغيها وذقنها .
٢ – تكحيل العينين .
٣ – تزجيج الحواجب .
٤ – ضفر الشعر وتزينه بالنقود الذهبية والفضية .
٥ – عقص الشعر على شكل دوائر – كعكة – وابراز الغرر المتعددة على جانب الجبين .
٦ – عصب الجبين بالشكة
٧ – وضع المالويات على السوالف .
٨ –وضع العفود والكردان على العنق والصدر .
٩ – وضع الأساور والدمالج في اليدين .
١٠ – وضع الأقراط في الأذنين .
١١ – إلباس الخلاخيل في الأرجل .
١٢ –الباس الخواتم في الأصابع .
١٤ – وضع باقات الزهر على الصدر .
١٥ – وضع وشاح من الحرير الشفاف الأبيض ليغطي العروس من رأسها إلى أخمص قدميها .

بعد التزين تذهب العروس إلى مكان مرتفع في بيت أهلها لتجلس للصمدة وتؤمر العروس بإطباق الجفنين ، وحبس السان عن الكلام ، واستواء الرأس ، وذرف الدمع لمفارقتها لأمها وأهلها وتغني النساء حولها :

جوزك يامليحة راح على الشام وحده

جوزك يامليحة أبو زيد الهلالي .
يلي بتحبي حبي بشطاره
مش مثل الواوي كل يوم بحارة
ياقمرنا لف ودور ---حول الكرة الأرضية
ما خلقنا نعيش بذل --خلقنا نعيش بحرية
من غرب الجامع . .لشرق الجامع
حبي قتلني وصاحبي سامع
والله لاشتكي للبرق اللامع
بركي بيسمحلي بسود العيونا
أما الزلاغيط :
أوها - من باب الشباك طلت عليه
أوها : مربوعة وأبيضانه
أوها : قالت ياولد إن كان لك نيه
أوها :ابعت الغرايب تايخطبونا .
أوها ياهناها باهناها
أوها : والباشا بيستناها
أوها : ويا باشا ربط خيلك
أوها : حتى تحمر حناها
أوها : والباشا والمتصرف
أوها حضروا ليلة خطبتها .
أوها ياريته مبارك
إوها : وسبع بركات
أوها : كما بارك محمد
أوها على جبل عرفات .
لالالالاليش .

أوها لاشدد اشدادي واجيبه
أوها واركب من فوق النجيبه
لالالاليش
أوها يافرحتي يا ربي
أوها ، أنا اليوم فرحانه
أوها ويلي ما بهنيني
أوها : أنا عليه عتبانه
لالاليش
أوها من باب الشباك شاليشك شفته
أوها الله يرميني بحضين صاحبته .
لالالاليش
أوها اهلا وسهلا فيكم
أوها والله محبيكم
أوها ريت الفرح بدياركم
أوها لنجي ونهنيكم .
لالالالاليش .
أوها دخلك يامو لفيني
أوها ومثل السيكاره لاتوجعيني
أوها أنا هون البردان
أوها بثوبك لفيني .
لالالاليش
أوها يسعد صباحك يا كتله أفرنجونية
أوها ياقش عنبر يا خلقه إلهية
أوها :لو قدمولي بدالك من الألف للميه
أوها ما بهوا بدالك ولا إلي نبه .

لالالاليش

أوها صدرك صدرني جبينك ليواني

ياشمس كانون ويا قمر نيساني

أوها : والشمس لو غربت تسبي محاسنها

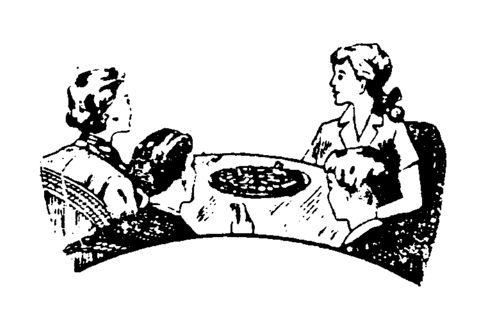
أوها والفي لو مال يسقي حوض ريحاني .

لالالاليش

مين قال عنك سمرا ياقمر بدري

ياباقتين قرنفل ليلة البدري

لالالاليش .



الفصل الثامن

مرحلة الخطبة والخطابة

متيتبدأ مرحلة الخطبة

في الشام القديمة كانت تقاليد الزواج تقضي على كل فتى سواء كان من الطبقة الغنية أو المتوسطة أو الفقيرة ، عندما يصل بالسن إلى مرحلة البلوغ في الثانية عشرة أن يحصن أخلاقيا بالزواج . ومنذ ذلك التاريخ تقوم والدة الفتى بنصحه وارشاده إلى ما يجب أن يكون عليه من الرجولة والشهامة والأخلاق ، بتجنب الزنا وعدم النظر بشهوة إلى بنات الجيران في الحارةو وخاصة أثناء مرورهن في الطريق أو في حالة كونهن يكنسن أمام دورهن ، أما الأب فيقوم بإجبار ولده على أداء بالصلاة تحصينا أخلاقيا له باعتبارها إحدى الفروض الدينية في الديانة الإسلامية .

وكان الشاب يطلب من والده أن يزوجه ، وتقول الروايات الشامية القديمة أن أباه كان يقول له : حتى تطول سلة الخبز ، أي أن تستطيع الإنفاق على النفس والزوجة معا . وإذا كان الشاب ذكيا وفطنا ومرحا فإنه يفاجيء أباه في إحدى الأمسيات بقوله : بابا: طلت سلة الخبز . فيسأل أباه كيف : فيجيب . . وضعت كرسيا ، وطلعت عليه ، وجبت خبز يابس من السلة . فيجيب الأب أن العيرة ما بدفي ، وإذا دفت ما بدوم . وينتظر الشاب فترة وهو ينظر بنات الحارة في روحاته وغدواته ، وخاصة خلال كنس الطريق أمام الدور ، أو خلال استقبال نساء الحارة في مناسبات سهرات رمضان أو حفلات الخطبة والعرس ، حيث يتجمع الشباب أمام بيت العرس لمشاهدة النساء خلال دخولهن وهن بأحلى زينتهن ، فإذا أعجب بإحداهن ، وقد تكون إبنة أحد رجال الحل والربط في الحارة . فإنه يعود إلى أبيه ويقول له يأبي اريد الزواج بفلانه . فإذا كانت اسرة الشاب متوسطة الحال فإنه يحاول أن يثنيه عن عزمه ويقول له إن فلانه من بنات

الأغنياء أو أن أبوها عنده من الحلال والخيل الكثير – عندها يطلب الشاب من أبيه شراء حمارا له ، بقوله يا أبي اشتر لي حماره وزوجني ، أي يريد أن يتشبه بالأغوات والتجار . . . فيجيبه أبوه حتى تموت كبارية الحارة . أي ياولدي لايجوز أن نتشبه بأحد مع وجود الرجال الكبار في السن والقدر في هذه الحارة .

والمعنى أن الأب ينصح إبنه أن يبحث عن عروس من طبقته ، ولا يعقل أن يجمع كبار رجال الحارة ونذهب لأبيها لخطبتها وهي ابنة أحد الرجال كبار القدر في الحارة . أو أنها إبنة أحد الشيوخ الكبار المرموقين متولي أحد أوقاف المساجد . ويأخذ من أمواله الكثير . أو ابنة أحد أغوات العسكر النهاب لأموال الناس أو من طبقة مقدمي العسكر زمن الدولة العربية المملوكية .

عندها يشعر الولد أنه لايمكن أن يكون منزلا ولا أن يكون متزوجا . لأنه فقير الحال أو لأنه نظر إلى أعلى من مستواه فينخرط مع شلة من شباب الحي يعملون مع آبائهم خلال ساعات النهار ، ويسهرون في الليل مع بعضهم البعض في البساتين المجاورة لمنازلهم أو في المزارع التي تخص عائلة أحدهم وخلال هذه السهرات قد تحضر بعض بنات الهوى ويشرب المجموع الخمر وعندها ينقلب الإجتماع إلى شكار

والشكار كلمة فارسية تعني الاجتماع المختلط طلبا للسرور . وله تقاليد وعادات تقضي بها روح الفروسية الخاصة في العصر الوسيط . مثل منصب الرئيس ، وهو الذي يصب الخمر ويتكلم إذا دخل أحد الغرباء ويسمح له بالجلوس أو لا . وفي الشكار توضع الفية الخمر في الوسط ويصب منها الخمر إلى الشباب بمعرفة الرئيس . وتجلب إلى الوسط الفواكه والأطعمة والخبز الرقيق ، . . . ولا يسمح لأحد من الشباب بالدخول و الخروج من الشكار إلا بإذن الرئيس . أو ما يسمى أحيانا بشيخ الشباب .

خلال الشكار وتناول الطعام ، يقوم الشباب بإطلاق عقيرتهم بالغناء لبعض المواويل الشامية القديمة أو بما يشبه الموشحات أو الزجل الشعبي والتي هي تطور لفن الغناء الصنعائي القديم أو الشعر الحميني القديم في اليمن . ويقوم باقي الشباب بالتطيب له إذا كان صوته جميلا ، ويطلبون منه المزيد . ويقولون آه إذا تأوه من الغرام

أو باطل إذا أصاباته مصيبة ، وفشر إذا تلقى تهديدا و إغراءا . . . . وخي أذا قام ببطولةأو عمل مجيد . .
وقد يحضر أحد الشباب صديقة له وقد تكون فتاة عاشقة موله له أو راقصة أو احدى بنات الهوى . فتقف وترقص مع الموال يصاحبها نقر على الدف أو الدربكة من أحد الحاضرين ، وخلال الرقص قد تشمر عن جزء من فخذها وتهز بخصرها وتقوم بالقصعة التي تشير إلى ليونة جسدها ، ولا تقصع إلا باتجاه الفتى الذي أحضرها وقد تقبله خلال رقصها ، ويقبلها الفتى وهو يضرب بخفة على فخذها ويقول يا مال الشام ، كنوع من الغزل أو المديح ، أو يا رخام بلدنا . . . أو قشطه . . . أو يضرب على مؤخرتها ويقول سمن . . أو دهن إلى خر كلمات الإعجاب البلدية .

ويصفق باقي الشباب الحاضرين للفتاة دون أن يلمسها أحد منهم . أو يوجه لها أي كلمة ، ما عدا كلمات الإعجاب لأن الفتاة أحيانا قد تكون من الجواري المملوكة لوالد أحد الفتيان وهو الذي أحضرها . فلا يصح أن يقربها أحد غيرة .

أما إذا كانت الفتاة من بنات الهوى . . . وقد حضرت لتجمع لأكبر قدر من المال ، أي لم تكن مخصصة لأحدهم ، فإنها تتمايل وتقصع لكل منهم وتطلب النقوط ، وتغمز بعينيها كل شاب من الحضور بأنها تستلطفه . وتبقى طوال الشكار تذكر لهم النكات الجنسية البذيئة ، وتطلق الضحكات الرنانه ، والتأوهات المثيرة وحركات الغنج التي تعلمتها لاطلاق الكبت الغريزي لدى الشباب . بحيث لاتنتهي السهرة لا وجمعت كثيرا من المال والمواعيد بإتيانها فيما بعد .

وقد إنتهت هذه العادة اليوم بعد ن زالت بقاياها القديمة مثل البساتين والجواري كما تغيرت العادات الإجتماعية وأصبحت تقليدا لما هو في أفلام العنف الأمركي اليوم .

بعد انتهاء السهرة يعود الشاب إلى بيته متأخرا مع ساعات الفجر الأولى أو في الصباح ، فتقوم والدته بتوبيخه وتقول له إن أباه قد قلق عليه وأنها لم تستطع تهدئته إلا بصعوبة بعد أن أعدت له كأس من مغلي النعنع أو المليسة أو البيلسان . وتعود إلى الوالد وتقول له إن إبنك راح مع أولاد آدو ، أو ابنك فلت وقد لايمكن السيطرة عليه

وسياسته . زوجه أحسن ، أو خير ما تصنع ضب إبنك ، أ. بدي افرح بإبني ، بدي يصير لي كنه ويصير لي أولاد ابن ، أو قالو شو أغلى من الولد قالوا ولد الولد ، وهكذا . . . . .فيقول لها الوالد إبحثي له عن بنت حلال .

وهنا تبدأ مرحلة الخطبة

الخطبة والخطابة

بعد أن تتعدد سهرات الشاب خارج المنزل واتفاق الأم والأب على تزويج الفتى ، تبدأ مرحلة البحث عن العروس الملائمة للعائلة والشاب معا ، وترغب أم العريس أن تكون كنتها آدمية هادئة لاتجاوب (القط بياكل عشاها) ، وذلك كي تستغلها في مساعدتها في أعمال الدار الكثيرة من كنس وغسل وطبخ وعجن الطحين ،وخاصة الغسيل الذي كان من أهم الأعمال البيتية لما يتطلب من الجهد والخبرة والتعب ،

ففي ذلك الزمن كانت تنقع الملابس المعدة للغسيل مساءا ، وفي اليوم التالي من الصباح الباكر تبدأ أعمال الغسيل ، فيرش نبات الشنان على الملابس المنقوعة لفترة ساعة أو أكثر حسب اتساخ الملابس ، وبعض العائلات ترش الشنان من المساء . وبعد انتهاء فترة النقع ، تبد مرحلة العك ، الدعك ، .تبدأ مرحلة ضرب الغسيل بالمخباط على جدار البحرة ليخرج منه الماء . أو أن يفض في مياه النهر إذا كان المنزل على طرف النهر ، ويغتقد الكثير من الرجال أن الفض في النهر حرام لأن البعض يشرب من ماء النهر .

بعد ذلك ويسمى هذا بالتم الأول تعاد العملية مرة ثانية وتقوم خلال العملية سيدة البيت الأولى أي الحماية أو زوجة الولد بالإشراف واصدار الأوامر ،وكثيرا ما يكون التم الثالث والرابع أحيانا بالماء فقط وبعده يكون العصير ويقول المثل العامي أصل الغسيل العصير. وبعد عصر الماء تنشر الملابس على الحبال وتثبت بالملاقط الخشبية . . . لذا فكل أم تفرح لوجود كنة لديها في الدار لتساعدها في الغسيل بالدرجة الأولى . ثم لتصدر إليها الأوامر وتشعر بأهميتها بعد أن قاست من حماتها الشيء الكثير .

وتبدأ الأم بالبحث عن الفتاة المناسبة بين بنات الجيران والمعارف والأقرباء أخير لأن المثل ((الأقارب عقارب)) ، أما الأب فيفضل أن تكون زوجة ابنه من بنات أحدأ كابر

رجال حرفته أو صنعته . أو من بنات التجار إذا كان تاجرا ،ليتجنب بالتعاون مع حميه مساوىء تقلبات الأسعار في السوق ، وليقوى مركزه التجاري .

وحتى القرن الحادي عشر هجري ، كانت أكثرية العائلات الدمشقية تهتم أن تكون زوجة الإبن الأكبر إبنة عمه . ومن هنا كانت لفظة (ابن عمي أو بنت عمي) هي لفظ المنادى لكل من الرجل والمرأة . ولكن أم الولد في أكثر الأحيان لاترغب في مثل هذا الزواج . لأنها تغار من سلفتها ولا تريد من ابنها أن يدلل سلفتها باعتبارها حماته . ولكن ولكن الأب يصر على زواج ابنه من ابنة عمه إذا كان للعائلة اراض حتى لاتذهب أموال وأراضي العائلة للأغراب ، ولاتقسم الأرض ولا تحدث مشاكل ، وإذا صدف وتزوجت ابنه للعائلة من غريب ، فيجب أن توقع تنازل عن حصتها من الإرث فيما يتعلق بالأراضي والعقارات .

عند انتهاء التفكير بابنة العم أو الخال أو العمة أو الخالة ، تبدأ والدة الفتى باستعراض باقي البنات المرشحات للزواج من باقي الأقرباء والجيران والمعارف . أما إذا كانت أخلاق الفتى سيئة أو كان من حديثي النعمة في الحارة ، فعندها تسأل الأم عن أخوات أصدقائه وأحوال عائلاتهن . وعندما تعيها الأمور فلا بد أن تذهب إلى الخاطبه .

الخاطبة :

والخاطبة هي إمرأة متقدمة في السن ، كثيرة الكلام تتقن فن الكذب وترويج الدعايات بين الناس ، معتدلة الحال أو أقرب إلى الفقر ، يتميز منظرها بالسمنة المفرطة ، وقلة الجمال ، وكثرة تجاعيد الوجه ، تضع على وجهها كثيرا من المساحيق لتغطية آثار الزمن البادية على وجهها . إضافة إلى كثرة المعارف ، وعند الدخول إ لى بيت الخاطبة ، تسمعها تقول : يا أهلا ويا سهلا . . .

الله يغفر لمن جمع راسين على مخدة واحدة .

والله زوجت كثير وكلهم مبسوطين بحمد الله .

وعندي بنات عائلات مثل القمر .

وشو ما كان الشاب إذا كتروا مصاريه يتغطي كل شيء .

أشارة إلى طلبها المال بكثرة لتخفي مساوىء الشاب وخاصة إذا كان الشاب أهبل أو أجدب و سيء الخلق وذلك لتخفي هذه الأمور عن أهل العروس وتورطهم في زيجة سيئة .

لأن كل همها محصور في تزويج الناس وقبض الأتعاب . وتكون هذه الأتعاب كبيرة إذا كان الزواج على ضرة ، واستطاعت إخفاء الحقيقة عن أهل العروس .

وقد تشاهد الأم عند الخاطبة بعض البنات يستعجلن الزواج ، فتسأل عن أسمائهن ، وأسماء عائلاتهن ، ومكان سكنهن ، وتسترسل معهن في الكلام ، وتقوا لهذه ما شاء الله ، وحصنتك بإِسم الله الشريف . يأللّه شو حلوه ، وتتقدم اليها وتقبلها في خدها ثم في فمها لتعرف إذا كان لها رائحة بخر أو رائحة فم . ولذلك تعلك البنات العلكه لاخفاء رائحة الفم إن وجدت .

وعندما تعجب بجمال إحدى البنات تقول : ماشاء الله عليك يابنيه ، حصنتك باسم الله العظيم ياحّلاوتك ، ياعيني على عينيك السود وشعرك الأسود ، ياسلام على بياض وشك ، ابني يحب البنت البيضا يلي حلتها سودا . . الله يتمم بالخير . إن شاء الله تعجبي إبني ، ، هو يحب البنت البيضا التي حلتها سوداء ، . . . . وتستمر بالمديح وتسأل عن أحوال أهلها وحارتها وبيتها ، وتقول لها أنا واختي سنتشرف بزيارتكم والتعرف على أهلك الله يخليلك إياهم ، أما إذا كانت أم العروس حاضرة ، فإنها تصلح جلستها وتتصدر ببنتها الحلوه وتبدأ بقراءة آية الكرسي وهي تحصن ابنتها وتنفخ من فمها على ابنتها وتقول لها حصنتك بأللّه ، من صغرك وأنا أقول لأبيكِ كل هزة بألف .

إذا لم تستطع الأم أن تشاهد عند الخاطبة فتاة تعجبها ، عندها تسأل الخاطبة عن أسماء بيوت لديها بنات للخطبة ، وتقول للخاطبة الله يجمعني ببنت ترضي ابني لأرضيك .

عندها تتأكد الخاطبة عن ضمان حقها في الأتعاب ، و تبدأ تعدد كثيرامن الأسماء عن بيوت لديها بنات للخطبة ، وتعدد صفات البنات وأحوال أهلهن . وخاصة الأسر التي لديها عدد كبير من البنات ، لأن الأم أو الأب لاينجبان إلا البنات وتقول الله يعينهم .

عندها تتناول الأم من جيبتها المعلقة تحت الفستان عدة مجيديات إذا كانت غنية ،أو نصف مجيدي إذا كانت متوسطة الحال ، وتقول لها هذا مقدم ، الله يتمم بالخير لنرضيك . بس الله يحسن حظ الولد (وتقصد العريس) ويجبر خاطره . . وهكذا . .وتجيب الخاطبة حضري الصرة ، صرة المصاري يلي بدو يتجوز ، بدو مصاري كثير ، إلى آخر هذا الكلام ، حتى تخرج الأم من عندها . بعد ذلك تذهب أم العريس إلى بيتها . وفي المساء تبلغ ابنها عن أسماءالبيوت التي لديها بنات للخطبة ،وبعد أن تتدارس معه الأسماء تذهب في اليوم الثاني إلى دار البنت المتفق عليها . وبعد السؤال عن بيتها والإستدلال . تطرق الباب فإن فتحت لها البنت ، تقول لها إنتي فلانة ، فإذا أجابتها بنعم تقول لها حصنتك باسم اللع العظيم ، يلي وصفوك ما غلطوا ، وتقترب اليها وتقبلها ، وتدخل وهي تقول : إحنا نتشرف بالتعارف معكم ، الله يجعل نصيب إبني عندكم ، جيناكم خطابين ولبنتكم طالبين ، دلونا جماعة أنه عندكم بنات للخطبة ، ومدحو لنا أخلاقكم الكريمه ، فأردنا أن يكون لنا الشرف بصلة القربى معكم . وهذا حظ كبير لنا لأنكم بيت أصول . . وحكي لنا كثيرا عن تربيتكم ، لأبنائكم وبناتكم .

ثم تقوم والدة العريس بطلب كأس ماء ، فتقوم الصبية لإحضارها ، عندها تنظر أم العريس إلى تناسق أرجلها وتناسب طولها مع جسمها ، وسكبت الساقين ، إذا كان فيهن عيب ، ،رفاع بيض ، فيهن حرق ، معظمين ، مكسوين باللحم أم لا . . إلى آخر هذه الصفات . ثم تلاحظ مشيتها إذا كانت موزونة أي الخطوات متساوية في المسافات في ما بينها ، وذلك دلالة على عدم هدوء أعصاب البنت ، أو أنها تعاني من مشاكل صحية أو مرضية .

ثم تنظر اليها عند عودتها وكيفية خلعها للقبقاب عند دخولها في العتبة إذا كانت فردتا القبقاب بجانب بعضها أم لا وإذا كانت تركتها نشا أم بهدوء ، وإذا كانت الفتاة مرتبكة

أم لا ، .

ثم بعد جلوس الفتاة تلاحظ الأم بياض اسنان البنت لتتعرف ألى مدى عنايتها بنفسها وتنظر إلى عينيها إذا كان هناك اصفرار أو اسوداد حول عينيها . وتلاحظ طول أهدابها . زواحمرار خداها .

وتقول للبنت : تعي عدي بجانبي وتضرب لها على جانبي إليتها لترى إذا كانت البنت . معصمصه ، سحنوكه أم لا ، لأن بعض البنات كن يضعن على أردافهن حشوات من القماش لإخفاء عظامهن الناتئة ، ولا تنس الأم أن تنظر من فتحة ثوبها لتعرف إذا كان لها أثداء أم لا . . . وتنظر إلى أظافرها ونعومة بشرتها ، ومقدار آثار الشهر وكميته في وجهها وساقيها ، وهكذا حتى تفلي البنت شقفة شقفة .
أما إذا كانت البنت لوحدها في البيت فإنها تتجاوز حدود اللياقة وتقوم بجسها في معصمها وترفع لها ثوبها لتلاحظ أفخاذها . وقد تمد يدها إلى فرجها لتتسس مقدار طراوته وسمك عضلاته ، . . . كما تلامس شعرها وتشده لتعرف إذا كانت قرعاء لابسة حوشا من الشعر المستعار أم لا . . .

أما إذا كان أهل البنت في الدار فإنهم لا يسمحوا بهذه الإمتحانات المهينة لابنتهم . وهذا العمل كثيرا ما جعل الفتاة بعد الزواج تحقد على حماتها ، وكان طريقا للمشاكل بين الكنة والحماة في العصور الماضية .

أما أهل العروس فيكتفون بالسؤال عن عن أبو العريس وعمل الإبن والأب ، ومكان السكن وعن إخوة العريس وأعمالهم وزوجاتهم . . . . . .

وهكذا ترجع الحماة إلى دارها وتقول في نفسها كم هي هذه البنت مسكينة ، القط بياكل عشاها ، وتجتمع عند المساء بأبنها وتحدثه عن الفتاة وتوصف له جسمها إذا أعجبتها ، وتقول له (شفت قديش أنا قوية ، والله فليت جسمها وفحصته شقفة شقفة . . . .

وهكذا تتكرر الزيارات ، وتكثر المشاهدات ، ومعها تكثر الأحاديث والتساؤلات ،

وقد تعود الأم إلى الخاطبة وتطلب منها التعرف إلى بنات غير تلك لأنها تريد أن تختار لابنها أحسن عروس في الدنيا ، وخاصة ذا كانت أم العريس صاحبة وسواس . وفي كل مرة تزور الخاطبة تعطيها الخاطبة عناوين جديدو وتدفع أم العريس للخاطبة مقدارا من المال مقابل هذه المعلومات .

بعد هذه المرحلة تبدأ مرحلة التساؤل عن أهل العريس وأهل العروس كل يسأل عن أحوال الطرف الآخر . والكل يزور الجيران والأقارب والمعارف وأصحاب الصناعات الملائمة للسؤال ، وبعدها تبدأ مرحلة الإستخارة ، الإستخارة ولها عدة طرق .

الطريقة الأولى:

وتكون بإعطاء الشيخ أو ضارب الفال أو الرمل ، اسم الفتاة أو الفتى وأسم الأم والأب ، ويطلب اليه تبيت الإستخارة . عندها يتلو الشيخ بعضا من القرآن الكريم ثم يغلق المصحف ، ويصلي ركعتين ، على نية الإستخارة ، ثم يفتح المصحف ويعد سبع صفحات ثم سبع آيات ، ثم يقرأ الآية بالتتابع ويفسر معناها ويبين إذا كان الزواج فيه الخير أو لا .

الطريقة الثانية :

هي طريقة أبو معشر الفلكي وتتضمن حساب طالع الفتاة أو الفتى والبرج الخاص بهما ، ومطابقة الأبراج كما يلي :

إحسب اسم الشاب وأسم أمه بالجمل الكبيرة ، واقسم المجموع على ١٢ وما فضل معك سيره على البرج الإثنى عشر ، وحيث انتهى العدد الفاضل إلى برج منه يعرف حاله وطبعه ، فإن فضل واحد فبرجه الحمل ، وإثنين فبرجه الثور وهكذا .

الطريقة الثالثة : هي طريقة الحروف :

وذلك ببيان قيمة الحروف التي يتألف أسم الفتى والفتاة ، ويزيد عليهم الرقم سبعة ، ونسقط المتسعات ، والباقي يبين النتيجة . فإذا تطابقت قيم الحروف كان الزواج ناجحا ، وإذا تباعدت القيم ، فإن الزواج يكون محكوما عليه بالفشل ، وقيم الحروف هي :

ا = ١ ب = ٢ ج = ٣ د = ٤ ه = ٥ و = ٦ ز = ٧ ح = ٨
ط = ٩ ي = ١٠ ك = ٢٠ ل = ٣٠ م = ٤٠ ن = ٥٠ س = ٦٠ ع = ٧٠
ف = ٨٠ ص = ٩٠ ق = ١٠٠ ر = ٢٠٠ ش = ٣٠٠ ت = ٤٠٠ ث = ٥٠٠
خ = ٦٠٠ ذ = ٧٠٠ ض = ٨٠٠ ظ = ٩٠٠ غ = ١٠٠٠,

فإذا تطابقت قيم الحروف ، فينظر إلى تطابق حروف إسم أم العروس ، وأم العريس وهكذا ءفإذا تطابقت قيم الأسماء فإن الزواج يكون ناجحا وتبدأ مرحلة ما بعد الخطبة .

الطريقة الرابعة:

وهذه الطريقة سريعة ومختصرة ، وتعتمد على عودة الإنسان إلى الداخل إلى الروح ليستشف الماضي والحاضر والمستقبل ، وذلك بترك المجال للروح للإتصال بالمجتمع روحيا ، والحصول منه على النتائج . وتقوم بها المرأة غالبا ويستطيع الرجل القيام بها ، وتكون الإستخارة بالقيام بالصلاة على نية الإستخارة ، في وقت التسبيح الذي يسبق يوم الجمعة عند ما ينادي المنادي بالذكر الكريم لصلاة الجمعة ، وبعد انتهاء الصلاة تمتنع المستخيرة عن التسليم ، متجهة إلى الله بروحها ، ويعتقد سكان دمشق أن الله إذا كان راضيا عن الزيجة ، فإها بلا شعور منها تلتفت إلى اليمين . أما إذا كانت الزيجة سيئة فإن المستخيرة تلتفت إلى اليسار .

وقد تذهب المرأة إلى بعض المشايخ ليقوم لها بلإستخارة مقابل مبلغا من المال ..فيستمهلها لفترة من الزمن ثم يعطيها الجواب ،
وبعض النساء يذهبن لى ضاربي الرمل ، وهو رجل قد يكون أميا فتدفع له المرأة بعض الدراهم ، فيخط بإصبعه بعض الخطوط على كمية من الرمل أمامه ،ويقرأ بعض التلاوات ،ثم يقول للأم نتيجة الإستخارة . أما إذا كان المبلغ المدفوع كبيرا فإنه يقوم بقراءة فقرات من كتاب عنده ويقول للأم نتيجة الإستخارة بضرب الرمل .

وأخيرا قد تعمد المرأة أو الفتاة إلى استشارة النساء الغجريات اللواتي يضربن بالودع ، تلقي الغجرية بالودع إلى الأرض بعد تبييض الفال ، وتقرأ بعض الكلمات المسجوعة ،وهذه الطريقة معتمدة كثيرا في مصر الشقيقة ، وتقول الطربة ...

يا ضاربين الودع . . . قولو حبيبي فين
هو خصامه دلع . . . . وإلا خصامه ايه

وغالبا ما تتظاهر الغجرية بأن الفال لايتكلم ، ما عميطلع ، وتطلب زيادة في الأجر ، وتقول أريد قمطة أو قفطان أو جوز الجرابات ، الخ . . . إن تمت الزيجة ، وتقول على لسان الودع بعض السجع ، فإذا كانت العروس راغبة بالزواج وكذلك أمها فإنها تزيد العطاء للغجرية

وقديما كانت النساء الغجريات يطفن حواري دمشق مناديات منجمة مطلعة منزلة ، منجمة مطلعة منزلة بتشوف البخت ، ويستوقفن الشباب البادية مظاهر العشق على وجوههم ليقمن بفتح الفال للعشاق .

إذا صحت العزائم بالقبول من قبل أهل العريس والعروس ، فإن المجال يفتح لاجتماع الرجال وتقرير الأمور .

أما في حالة تمنع احد الطرفين عن السير في إجرآت الزواج فيقول :
مافي نصيب الإستخارة غير مواتية ،ما في نصيب ، الله يجعل نصيبه خير ، وينصرم حبل الزيارات ، وتعود أم العريس إلى التفتيش عن عروس أخرى .
وقد يلح أحد الجانبين بالطلب والإصرار فتعاد الإستخارة مرة ثانية ، وثالثة وعندها يتم الفصل في القبول والرفض .

بعض الأمهات يفضلن إثبات وجودهن في تقرير الأمور في المنزل ، فيتدخلن في تحديد المهر ولا يتركن ذلك لاجتماع الرجال . فيعينن المهر والشبكة ، والشروط الخاصة بالأثاث والمنزل والأولاد . . . الخ . . . . أما النساء المعدلات واللواتي يحترمن أزواجهن فإنهن يتركن المسألة لاجتماع الرجال . وتدخل النساء في مثل هذه الأمور ينفر بيت الإحمى . لأن الحماة القوية لايرتاح اليها أهل العروس أو العريس .
كما أن تدخل أم البنت أو الشاب في مثل هذه الأمور دلالة على سيطرة الأم على البيت وأن الرجل سيد البيت لا حول له ولا قوة مما يؤدي إلى الغاء الزواج لأن البنت ستتطاول في المستقبل على زوجها والمثل يقول . طب القدر على تمها تطلع البنت لأمها .

الفصل التاسع

عقد النكاح

الكتاب

متى اتفقت العائلتان عائلة العريس وعائلة العروس على الخطبة ، فلا بد عند ذلك من إعلام أبو العريس ، وأبو العروس ، بكل التفاصيل التي توصلت اليها النساء ، وينتهي دور النساء ليبدأ دور الرجال . فيقوم والد العريس بالمشاورة مع أصدقائه من وجوه الحي وبعض الأقارب وبخاصة إخوة الأب (الأعمام) بالدرجة الأولى ، ويعرض الأمر عليهم ويتشاورون في الأمر وذلك خلال سهرة أو حفلة عشاء تقدم فيها الأطعمة وبعدها الكنافة والمكسرات ، وفي الشتاء يقدم الحليب دلالة على بياض السريرة . ويطلب في حال الموافقة مرافقتهم لطلب الفتاة من أبيها أو ولي أمرها وفي حال عدم وجود الأب فإن الإبن الأكلر هو ولي أمر البنت في الشرع الإسلامي . ويتفق على موعد ويرسل أحد الشباب لإخبار أهل العروس وتحديد موعد للبت في الأمر .

عندها يستعلم والد العروس عن عدد الزائرين ، ويضمر لهم وسائل الراحة ، بأن يعد لهم مكان الجلوس ليتناسب مع تشريفهم ، وإذا كان الجو صيفا فإنه يستقلاهم في أرض الديار البراني ، أو في الحديقة ، ويحضر لهم الطواطي ، ويفرش السجاد ، وفي الموعد المحدد يلبس الأب وأولاده أفضل ثيابهم بعد أن يتحمموا ويتعطروا . . . ، ويحلقون ذقونهن ويقصون شعورهم ويزينون شواربهم بالأدهان ال . . . . .

ويستقبل والد العروس يحيط به أولاده الخاطبين بوجه بشوش ويقدم لهم الحلوى والفاكهةوألأشربة والسيكارات والأراكيل . . .

ويتبادل الطرفان الأحاديث ، ثم ينتقلون إلى المناسبات التي تتعلق بالعرس ، كأن يقال في الأسبوع الماضي حضرنا عرس فلان ، أو كتاب فلان ، أو تلبيسة فلان ، الله

يهنيهم ، والسامعين ، وهنا ينتهز أحد الحاضرين الفرصة ويقول :الحمد لله .

خلينا نحكي يللي اجينا من شانه ، أبو فلان يقصد أبو العريس يريد خطبة ابنتكم فلانه لابنه فلان ، ويمتدح أهل العروس وهل العريس معا ، ويكون والد العروس قد استعد للموضوع وأحضر بعض وجوه الحارة والمهنة التي يتعاطاها إضافة إلى أقارب التاعروس مثل العم والخال والجد إن وجد .

وربما صادف بين الطرفين ذو معرفة سابقة بأحد الجانبين فيكون وسيلة لتقارب وجهات النظر بين الطرفين ويسأل عن الأصحاب والأحباب ويقرب الإثنان وجهات النظر ويقترحون الحلول للمشلاكل البسيطة المتعلقة بالمهر والجهاز وموعد الكتاب والعرس ومقدار الشبكة والحقوق التي تكون لكلا الطرفين سواء منها ما يطابق العادة والعرف أو ما يخالفها . وغالبا ما يتفق الطرفان على عدم سماع آراء النساء ليقطعن دابر الترد ويثيرون الرجولة في الرجال إذا شاهدأحدهم النساء يسترقن السمع لما يحدث ويخشون تدخلهن وكثرة اللغط والقال والقيل . ويصرح المجموع بأن الأمر خرج الآن من يد النساء وأصبح بيد الرجال

بعد الانتهاء من الجلسة يتقدم أكبر الحاضرين سنا . أو من هو أكثر وجاهة من الباقين ، زأن يجعل الزيجة ميمونة مباركة مقرونة بالحظ والسعـادة والرفـاه والبنين . . . . ويدعو بعد الفاتحة بما تيسر من الكلام المنمق المتعارف عليه فبقول الجميع آمين بعد كل جملة ، والبعض يقول آمين اللهم آمين بارك لهم آمين . ويطلب عقب ذلك دفتر العائلة أو ورقة النفوس أو الهوية إذا كانت الفتاة مثقفة ولها هوية وهذا يشكل الموافقة وبدء الإستعداد بشكل رسمي للكتاب

العقد أو الكتاب .

بعد اجتماع الخطبة ، أو بعد قراءة الفاتحة ، يبدأ الإعداد للعقد أو الكتاب ، والخطوة ألأولى في هذا المجال هي إعطاء أهل العريس الهوية أو دفتر العائلة ، أو صورة عن قيد النفوس ، لبدء معاملة الزواج في المحكمة الشرعية . ولما كانت كثير من عقود الزواج غير مسجلة في دوائر الأحوال المدنية التي أنشئت حديثا بعد انتهاء العهد

العثماني ، لذا تعمد المحكمة إلى تعليق طلب الزواج في ساحة المحكمة ليطلع عليه الناس ويسمى **تعليق الأذنامة ، والإذنامة كلمة تركية وتعني إجراء متخذ من قبل** المحكمة بلإعلان عن الزواج . ويبقى الإعلان مدة خمسة عشر يوما ليستطيع بعدها القاضي أن يأذن بالزواج . أما الآن فقد الغي هذا الإجراء بسبب عدم جواز أي عقد لم يسجل في المحكمة الشرعية أو الدوائر الكنسية إضافة إلى دوائر الأحوال المدنية . وإذا لم يسجل العقد فإن المتزوج وكاتب العقد يخضعان للإجراءات الجزائية المنصوص عنها في قانون الأحوال المدنية .

وخلال فترة الإذنامة يستعد أهل العريس لجمع المهر لدفعه كاملا وهو المقدم منه ساعة توقيع العقد أمام المأذون . وإذا صدف وكان أهل العروس على قد الحال أو صنايعية ، وكان أهل العريس ميسورين ، فيرسل لأهل العروس مبلغ من المال مساعدة . لمصاريف حفاة الكتاب ، أما إذا كان أهل العروس ميسورين فإن ذلك يعد إهانة يجب تجنبها . ويمكن الإستعاضة عن المبلغ بعدة هدايا مثل تعهد بعض أهل العريس بإيفاد المنشدين وتقديم كشك الفقراء أو المحلاية أو البوظة أو الملبس الخ ....

وعند ثقديم الهدايا تقدم الضيافات لأهل العريس ويشكرون . ((ليش غلبتو حالكم)) فتجيب أم العريس هذا لبنتنا وسيعود إلى أسرة ابني ، ومهما جبنا ما منؤدي الواجب ، واجبكم كبير ، أنتم جماعة كبار وصرتوا أحبابنا وصحابنا ، أو صرنا أهلية ومافي فرق بيننا . وفي هذا الكلام مدح لأهل العريس لأن العادة جرت أن تكون أسرة العروس أدنى من أسرة العريس ، والمثل العامي يقول يلي بيتطلع لفوق بيتعب . أو هذذا ما يفضله أهل العريس حتى البنت ما تشوف حالها ، وخوفاا من عوادي الدهر ونكباته التي كانت تكثر في عهد المماليك وةالعصر العثماني . حيث تخسر العائلة مالها وتصبح بحالة من الفاقة فعلى العروس أن تصبر على أيام البؤس لذا تربى البنت على الخشونة لتستطيع الصبر إذا مالت ايام بزوجها . وهذا التقليد ورد في قصة زوجة نمر العدوان وهي قصة كانت تقرأ عند الحكواتية في المقاهي العامة بهدف تربية وتعليم الشعب كيف تتصرف بناتهم بعد الزواج .

أما أهل العروس فيقومون بالتحضيرات اللازمة المتعارف عليها لكتب الكتاب ويقومون بتهيئة القهوة المرة وتعبئتها في المصبات الكبيرة وتوضع على جانب البحرة لتغلى وتقدم للمدعوين عند وصولهم ((فنجان أهلا وسهلا .

وكذلك تحضر أجود الفاكهة إذا كان الجو صيفا . والدخان والأراكيل مع لوازمها من البرابيش والفحم والملاقط الخ . . . ثم الملبس والسكاكر لتوزع على المدعوين ، وكان بعض الأغنياء يضع الملبس والسكاكر في علب فخمة من الصيني أو الموزاييك ويقوم أهل العروس بالاتفاق مع أهل العريس على عدد المدعوين وقد جرت العادة أن يكون العدد مناصفة ، ولكن يمكن هل العروس أن يزيدوا في عدد المدعوين إلى الثلثين وفي هذه الحالة يعاملون بالمثل في حفلة العرس . ويعتبر البعض كثرة المدعوين دلالة الوجاهة ، ولكن الواقع أن التجار كانوا يتحينون هذه المناسبات لجمع الناس كنوع من العلاقات العامة للدعاية إلى بضائعهم .حيث يقدمون في هذه الحفلات بتبادل الأحاديث المتعلقة بالعمل وشرح وبث الدعاية اللازمة لمنتجاتهم .

عند انتهاء موعد الإذنامة ، تكون البطاقات الخاصة بعقد النكاح قد طبعت ووزعت وبها يحدد موعد الكتاب باليوم والساعة وكذلك مكان الاحتفال يعين المنزل والحارة ال . . . وتكون دعوة العقد باسم أبي العروس في الصفحة الأولى أو ولي أمرها أو وكيلها ، ويعتبر القاضي الشرعي هو الولي الشرعي إذا كانت البنت غريبة وليس لها أقربا يتولون أمرها بعد ابيها إخوتها اعتبارا من الإبن الأكبر ثم العم وبعد العم الجد إن وجد ثم الخال فإذا لم يوجد أحدا منهم فعند ذلك يعتبر القاضي الشرعي هو الولي الشرعي وعليه تطبيق القواعد الشرعية في أخذ موافقة البنت أو عدمه حيث للقاضي الشرعي الحق بإجبار الفتاة على الزواج إذا لم يكن لها أقرباء أولياء لأمورها خوفا من نشوزها . بعد ذلك يذكر اسم العروس الأول كما تذكر بعض العبارات المتعلقة بالتمنيات الخاصة بالعروسين . ويمكن أن تتضمن النصوص بعض الأحاديث أو الآيات القرآنية الخاصة بالزواج .

وتوزع البطاقات الخاصة بالعقد قبل اسبوع أو أكثر على المدعوين القريبين من العروسين ، **أو أن يخطروا بالموعد إذا تأخر توزيع البطاقات لأسباب طارئة .**

في الموعد المعين يكون والد العروس قد اتفق مع فرقة من منشدي المدائح النتوية لقراءة قصة المولد النبوي الشريف وتحضر هذه الفرقة في الموعد المعين وتوضع لها تخته مرتفعة في صدر الدار وتحضر لها الأشربة التي تجلى الصوت مثل شراب الماء والسكر المحلى والمعطر بماء الزهر . والشاي الأخضر . وعادة ما يقام الإحتفال في أرض الدار إذا كانت كبيرة ، وفي حالة كون الدار صغيرة فيمكن لأحد الوجهاء في الحارة أن يقدم دار ه وعندها لابد من تنظيف الدار وتزيين جدرانها بالسجاد وتعلق على السجاد الأسلحة مثل السيوف القديمة والبنادق الحديثة وكذلك الرماح والخناجر الجنابية اليمنية ، باعتبار أن أكثر أهل دمشق من الأصول اليمانية القبلية . وإذا كان صاحب الدار قد اشترك في إحدى الغزوات الحربية ، وحاز بعض الأوسمة فإنها تعرض وتعلق على الجدران المكسوة بالسجاد وذلك دلالة على أصالة الفروسية في هذه العائلة ، وتوضع على الجدران أغصان الغار للزينة ، وتوضع على مدخل الحارة أغصان على شكل قوص النصر وكذلك على مدخل المنزل . وتحضر الأنوار ((اللكس)) والشموع والقناديل والكازات إذا كان الاحتفال ليلا . وتصف المقاعد ةتوضنع عدة خوانات لتصف عليها علب الحلوى والسكاكر والهدايا ،

في بداية الحفل يعلن رئيس فرقة الإنشاد بداية الحفل بعشر من القرآن الكريم ، وعندها تهدأ ضجة المدعويين . وبعد انتهاء العشر القرآني تبدأ فرقة الإنشاد بقراءة قصة المولد النبوي الشريف مع بعض المائح النبوية والأزجال . وعادة يجلس على يمين فرقة الإنشاد والد العريس أو ولي أمره ويجلس بجانبه العريس ،أما والد العروس وإخوتها فيقفون في المدخل لاستقبال المدعوين والترحيب بهم ، وعادة يقف على المدخل أحد أقرباء العريس أو أحد إخوته لإجراء التعارف بين أهل العروس وأهل العريس وهذا التعريف يقوم به الطرفان بلا استثناء .

وعند اقتراب المنشدين من الإنتهاء من قراءة قصة المولد النبوي الشريف ، توزع

المحلاية أو البوطة أو الكنافة والفاكه بحسب فصول السنة .
عندما تصل فرقةالإنشاد يقف الجميع لقراءة الصلوات على رسول الله ﷺ . . .وبعد ذلك يوزع الملبس وينصرف أكثر المدعويين . وقد يكون أحد أسر العريس أو العروس من أهل العلم ، عندها يقوم أحد رجال الدين أو العلماء بالقاء خطبة مختصرة تتضمن بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية عن الزواج ، وضرورته ، ويستشهد على الزواج المثالي في الإسلام بين فاطمة الزهراء رضي الله عنها وعلى ابن بي طالب أمير المؤمنين رضي الله عنه ، ويرجو الله أن يوفق بين العروسين كما وفق بين على وفاطمة . وعادة ما يتضمن الحديث قول الرسول الكريم تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة . . . . . .وأن الزواج يقرب البعيد ويحبب الغريب . وبعد أن كان غريبا أصبح صهرا ونسيبا .

وخلال الإحتفال يكون والد العروس أو وكيلها بحسب الولاية الشرعية ، قد اجتمع في إحدى الغرف الجانبية مع العريس أو والده أو وكيله حيث يقوم المأذون أو الشيخ أو كاتب المحكمةحيث يضع الطرفان يديهما تحت منديل أبيض وهما متصافحين أو متشابكين رمزا لقيام التعاون بين الأسرتين . ويقوم كاتب المحكمة بتلقين الطرفين العبارات الشرعية المتعلقة بعقد الزواج والمتضمنة مقدار المهر مقدمه ومؤجله وكافة الشروط المتفق عليها . ويأخذ رضاهما وموافقتهما وبعد ذلك ينادي على البنت من وراءحجاب ليأخذ موافقتها ، وعادة ما كانت البنت توافق مكرهة لأنها إذا رفضت وأعلنت أنها لاتريد الزواج يشكل كارثة بالنسبة لها قد تهدد حياتها لأن مثل هذا الموقف يعتبر نشوزا لايقبل ، بالرغم من أن الدين الإسلامي اشترط موافقة البنت على زواجها .

وعادة ما تكون العبارة : زوجتك ولدي فلان ابن فلان لابنتك فلانة العاقلة البالغة البكر أو الثيب ، على مهر معجله كذا ومؤجله كذا ، على سنة الله ورسوله ، ثم يقوم والد العروس ويردد مع الشيخ : قبلت زواج أو نكاح موكلتي أو ابنتي فلانة ، لابنك فلان على . . . . نفس الشروط والكلمات . . . . .
وبعد الإنتهاء يسأل الشيخ أو المأذون كلا الطرفين ويقول قبلت فيقول قبلت . ويبادر

الجميع إلى تقديم التهاني والتباريك . والدعاء بالرفاه والبنين .وعندها يخرج والد العريس كيسا بداخله من النقود ما يوازي قيمة المهر ويوقع الشهود على العقد . وينقل الخبر إلى النساء في داخل المسجد فتبدأ الزلاغيط وقد نشرنا قسما منها في أخر الكتاب وكذلك الأغاني .

وكانت النساء تقول ((سودت ورقتها أو كتبو كتابها ، وعلو جوابها .ويقصد بتسويد الورقة كتابة العقد ،حتى أن الدعوة المشهورة على البنية في القرن الماضي كانت الله لايسودلك وريقة ، أي أن لاتتزوج .

في حال عدم موافقة العروس على الزواج وهذا ما يسبب مشاكل كثيرة وفضيحة اجتماعية ذات آثار بالغة الخطورة على حياة الإبنة ،عندها على والد العروس أن يعيد كل مصاريف الخطبة والهدايا وفي بعض الأحيان يحضر ابن عم العروس ويصر على حقه بأفضلية الزواج من العروس وهنا الواجب على العريس الخاطب أن يتنحى ويترك المجال لإبن العم ،وقد يعقد في نفس الحفل العقد على ابن العم إذا أصر على أن تجري الإجراءآت اللازمة القانونية بعد الحفل .

وعادة ما يجري تحرير عقد الزواج على نسختين يحتفظ أهل العروس بنسخة منه بينما يحتفظ العريس بالنسخة الثانية .

وقد يحضر العريس أحيانا ويصر على الباس عروسه بعد العقد الخاتم والهدية الإسواره ، كما هي العادة اليوم ويحدث هذا بحضور الأهل والنساء المقربات من كلا الطرفين ولكن هذا لايعني أن يجتمع إلى العروس أو الإنفراد بها ، ولو كتب الكتاب ، وأصبحت زوجه شرعا ، إلا إذا كانت العروس والعريس من ابناء العم ومع هذا فإنه يمنع على العريس لقاء عروسه في الأسبوع السابق على عقد الزواج سواء العرس أو الكتاب لزيادة الشوق والتلهف كل من الطرفين للآخر .

الحفلة النسائية أو السهرة في بيت العروس بعد عقد النكاح .

الفصل العاشر

الجهاز

بعد كتب الكتاب ، عقد النكاح ، ودفع المهر من قبل أهل العريس ، وغالبا ما يكون العريس قد جمعه من كده وتعبه ، لأنه لايعرف قدر العروس إلا من تعب في جمع المال ليدفعه نقدا لها ، إلا إذا كان العريس من عائلة غنية أو أن العريس يعمل مع أبيه ، عند ذلك يدفع والده المهر ويسكنه عنده في البيت ، البيت الكبير بيت العائلة ، ويعطيه مربع ، في الطابق الأرضي لأن العادة جرت أن يحتفظ الأب بالقاعة ذات البحرة ليجلس بها في أيام الصيف ويستقبل بها الزوار ويشرب الأركيلة . . . . وكذلك بالفرنكه أي الغرفة العلوية في الطابق الأعلى لنومه لأنها الغرفة المشمسة الوحيدة في البيت والبعيدة عن الأولاد ونساء الأولاد ليستطيع الإختلاء ضمنها بزوجته بعيدا عن مراقبة أولاده وسماعهم صوات الشخير والنخير ليلا ، لأن هذا إضافة إلى التأوهات والأنات من متطلبات الاجتماع بين الزوج وزوجته في الماضي ، وكانت المرأة تضع بجانب الغرفة وابور الكاز وتنكه ماء معبأة من البئر للغسل ويكون بجانب الغرفة ، دار خلاء ،((تواليت)) .

ما إذا كان العريس على قد الحال و توفي والده فإنه يدفع المهر من تعبه أو إرثه ، ويكون عمه أو خاله وكيله في عملية الخطبه والعقد ، ويسير بجانبه ليلة العرس بدلا من أبوه المتوفى .

ويتفق أهل العريس والعروس على كل التفصيلات الخاصة بالجهاز ، فتذهب أم لعروس إلى بيت والد العريس وتطلع أو تعاين الغرفة المخصصه للعروس والعريس ، لمربع ، ومكان وضع الأثاث أو الجهاز الذي يوصى عليه متناسبا مع المربع ، وقد تعمد م العريس إلى إعطاء العريس موقتا غرفة كبيرة أو قاعة لإرهاق أهل العروس ، عندما

يجب أن تكون السجادة أكبر ، والطواطي أكثر . . إلى آخر الأمور المتعلقة بالجهاز ، ويعد العرس تنقل العروس والعريس إلى غرفة صغيرة .

وتتضايق أم العروس من هذا الإبتزاز وتقول : ولي على حظها القاعة باردة مثل الجامع ، والله بكره بالشتاء بيظنطروا من البرد ، والله هيك العروس ما بتحسن تتفرع لعريسها ، وهي بهذا ترجوا أن تكون الغرفة صغيرة كي لاتنفق كثيرا بشراء الأثاث لهذه القاعة الكبيرة .

وتعود أم العروس مع المنجد إلى بيت العريس لتأخذ أطوال القاعة ومواضع صف الجهاز ليصنع حسب مقاييس الغرفة . وأهم الحاجات التي يجب أن يحتويها الجهاز هي

١ — الطواطي : وهي مجموعة من الفرش أو الطراريح القطنية العالية وتوضع بجانب الجدران في الغرفة ليجلس عليها الضيوف . وتكون هذه الفرش بعرض ذراع أو زراع وربع حسب سعة الغرقة هذه الفرش يكون قالبها الداخلى من الخام العادي الممتاز (قطة وبرنيطة) وهي ماركة هندية لنوع من القماش . أما القالب الخارجي فيكون من قماش الدامسكو القطني الشهير من الصناعة الدمشقية ، أما الحشوة فتكون غالبا من القش الناعم أو التبن أو النخالة . حسب الغنى والفقر لعائلة العريس أو العروس ، لأن العادة كما ذكرنا : يلي مثلنا تعو لعنا) وفوق هذه الفرش فرش أخرى بسماكة ٢٠ سم من القطن البلدي الصافي الذي لا يضغط بفعل الجلوس . وذلك لترتفع الطوطاية عن الأرض أكثر من ٣٠ سم . بعد ذلك تجلل الطواطي بقماش أبيض مطرز أحيانا أو عليه أشغال من الأغباني وغير ذلك . وفي الريف وكذلك عند الأغنياء تكون الأغلفة من الصوف العادي المنسوج بالنول وبالألوان الأبيض والأحمر يشابه ألوان البسط الحموية المعروفة اليوم . والتي تعرض في الوحات الإرشادية لوزارة العمل والشؤون الاجتماعية .

تثبت هذه الطراريح بالخيطان وتسمى مسامير ، حتى لا تحدث خرخجات وسط الطراحة أو الطوطاية وهذه المسامير كما تسمى هي عقد من الخيطان القطنية تثبت الحشوة

في الداخل . على أطراف الطواطي تزين بالبريم ويكون مصنوعا من الحرير الجدول بعدة ألوان ، ونفس البريم تزين به جوانب المخدات (الوسائد والتكايات . ويوضع فوق المخدات غطاء أأبيض تزين جوانبه بالتنتنا وهي عبارة عن شريط دانتيل مطرز .

أما السجادة التي توضع في الوسط بين الطواطي ،على الدف أو على الأرض إذا كانت الأرض من الرخام . فهي على حساب العريس على الأكثر لا إذا كان الشرط في الأساس أن تحضرها العروس ، وغالبا ما تكون السجادة نقوط من الست أو الجد والسجاد قديما كان معتنى به يتوارثه الأبناء عن الأجداد ويعتبر ثروة للعائلة يفيدها أيام الضيق .

٢ – الجلابل : وتكون غالبا من القماش القطني الأبيض يطرز قسمها المجاور للسجادة أو الذي في اسفل الستارة ببعض الرسوم الهندسية تطريزا أو تعمل به تفريغات على شكل ما يسمى عش البلبل ، وغالبا ما يكون هناك جلايل للنوافذ كافة والمندلونات العالية . وهي نوافذ عالية للتهوية تطل على الحدائق المجاورة أوعلى أرض الديار ، ساحة المنزل الداخلية .

٣ – البيرو : وهو عبارة عن خزانة ذات أدراج للبياض أي الملابس الداخلية والجلايل والطواطي ، وعدد الدروج يكون أربعة أو خمسة وفي بعض الأحيان يطعم البيرو بالصدف . وأحيانا يستعاض عن البيروا بالكتابي التي تتخلل جدران القاعة على جانبي اليوك المستعمل لوضع الفرش فيه خلال النهار .

٤ – الصندوق : وهو خاص بالعروس ويبقى لها حتى عندما تصبح حماية لتضع به ذكرياتها ومصاغها وما حصلت عليه من نقوط وغير ذلك من الأشياء الثمينة إضافة إلى قطع القماش ، وقد وصفت الأديبة الدمشقية ليلى الإدلبي صندوق جدتها وتحدثت عن أسراره حيث يحتوي على الأقمشة غير المخيطه إضافة إلى بدلة العرس والملابس المختلفة ، والملاءة الحبر الحريرية ، بعض القطع غير المخيطة من نفس القماش الأسود الحريري المسمى الحبر والمستعمل لصنع الجلباب .

٥ – المرآة : تثبت فوق الصندوق أو البيرو وتكون مطابقة لقياسه ، وكانت الشهرة أيام زمان للمرايا البلجيكية ، وكان يذكر في الاتفاق على جهاز العروس أن المراية

بلجيكية مشطوفة من الجوانب وسميكة أما اطار المرآة فيكون من الخشب القاسي الزان أو الجوز وفي أعلى المرآة تاج من الخشب المحفور بأشكال تزينية .

٦ — القاطع : ويكون من الخشب القاسي العادي وعلى قياس جانب من الغرفة ويمكن الإستغناء عن القاطع إذا كان للغرفة مساطب للجلوس عليه توضع عليها التكايات ، وإذا كانت القاعة مؤلفة من قسمين يرتفع إحداهما عن الآخر فلا بد من وجود القاطع لعدم وجود المساطب .

٧ — اللحاشات : وهي عبارة عن غطاء من وسائد مزركشة مشغول من اطرفه بأشغال الإبرة أو الكنفاة . . . ، توضع هذه الوسائد على أطراف الطواطي لتكون متكأ للجالسين ،

٨ — اللحف : وخاصة لحاف العريس ، ويكون القماش الداخلي للحاف من القطن الممتاز ، ووجهه من الحرير أو قماش الفاي ، إضافة إلى تغليقه بالملحفه من الداخل والغشاوة من الخارج ، اللتان تخيطان عليه ، وبعض الأغنياء يصنعون اللحاف عند المنجد من قماش الحرير فقط وتكون الغرزة الخاصة به كبيرة ويسمى الجودلي . ويستعمل هذا اللحاف خلال الصيف فقط . أما اللحاف وهو الغطاء الأصلي في أيام الشتاء فيصنع من الصوف الناعم للخراف الفتية بعد أن يزيد المنجد من ندفه وفرده على القماش ضمن مستوى اللحاف ، وعندها ليس هناك لزوم للبطانية لأن اللحاف الصوفي يكفي خلال الشتاء . كما يعمد المنجد إلى طي اللحاف الجودلي لرقته على شكل وعاء معد للزهور ((مشربيه)) .

٩ — سجادة الصلاة : أساسية في جهاز العروس . والعروس التي لاتخرج في جهازها سجادة صلاة تعتبر قلية الدين والحياء وقد يسبب ذلك في الإساءة لسمعتها وحتى إلى طلاقها فيما بعد .

١٠ — كيس مطرز وله بريم على جوانبه ممتد من أحد أضلاعه يوضع به مصحف ، كتاب الله الكريم ((قرآن كريم))ويعلق على الجدار الذي يتصدر القاعة أو المربع .

١١ — يرافق الجهاز بعض التحف مثل الزبادي الصيني ، والزبادي الشيني ، والكازات الكبيرة من زجاج الكريستال ،وكذلك الجاطات الكبيرة ، والكاسات المذهبة

والمزينه بالرسوم الجميبة ، والملاعق والسكاكين ، والشوك ، زتصف هذه الأواني فوق البيرو ، **وقد يكون هناك قطعة كبيرة من الرخام توضع عليها هذه الأواني . أما إذا كان** هناك كتبية فتصف عليها الأواني ، أما إذا كان أبو العروس من العلماء والمؤلفين ، فإنه يقدم بعض الكنب لترافق جهاز ابنته وتوضع في كتبية خاصة تغلق بالبلور . ويمكن للعروس أن تحضر معها أركيلة من الكريستال مزينه ببعض النقوش إذا كان والد العريس من المدخنين .

١٢ – علبة مكي : وهي من الضرورات في الجهاز وتكون خاصة بالعروس ، ويقول المثل : لولا علبة مكي كانت أحوالنا بتبكي . وعلبة مكي هي علبة خشبية مطعمة بالموزاييك أو الصدف توضع بها لوازم التجميل . مثل : الحمرة والبودرة . والسليماني ودهن اللوز والوزلين . ودهن الورد . وألأ ، و وهو لتقوية شعر الرأس ومنع الشيب ، وورق الآس لوضعه على الجلد مع البودرة في حالة التسليخ ، وشبة ، وعفص ناعم مطحون وحنه ،والكحل . . . . . .

كما تحمل العروس معها صندوق صغير يسمى صندوق القشوة لوضع مايلزم الطفل عند ولادته من الأدويت مثل البودرة والآس وزيوت مختلفة مثل : زيت الليمون ، وزيت النارنج والكون وغيره . . . .

وخيرا تحضر العروس معها هدايا لأم العريس وأبي العريس وإخوته البنات والذكور وفي بعض الأحيان تحضر هدايا لسلفتها عبارة عن تفصيلة وهي قطعة قماش تكفي لتفصيل ثوب واحد .زمن هذه الهدايا :

للعريس : كيلوتات ((لباسات)) تكك جرابات حريرية وصوفية ، قمصان داخلية ، صاية ديما ، شروال ، مينان ، زنار صوف ، شحاطة ، محارو قماشية ، كيس دراهم مشغول بتطريز ، طاقية وهي غير طاقية الخطبة ، مناشف حمام ، بشاكير ، ،

ويقدم للعم : صاية وزنار ، ولفة مطرزة ، وجاب صوفي ، وشروال ، وتكة .

ويقدم للحماة : غطاء صلاة من الشاش و حرير الموسلين . قطعة قماش (تفصيلة وجربات نسوانية وقميص داخلة وشلحة .

أما إخوة العريس من البنات فيقدم لهن قطعة قماش وغطاء صلاة . .

وهناك ما يتبع ذلك مثل ردة الرجل بعد العرس والصرة والمباركات فسأتحدث عنها في الكتاب القادم المتعلق بالمناسبات التالية : المباركة الطهور ، الولادة ، .



الفصل الحادي عشر

حمام العرس

و يحدد موعد حمام العرس قبل العرس بيومين أو ثلاثة على الأكثر من موعد العرس وتبدأ الإستعدادت لهذا اليوم منذ مدة بتحضير الثياب والبقج والمناشف وغيرها ، ثم تجري الدعوة إلى حضور حمام العرس من قبل أم العروس فتقوم بدعوة الأهلية من الإخوات وألعمات وصديقات العروس وكذلك بنات الجيرات المقربات من أم العروس والعروس . وكذلك بعض الجيران والمحبين .

أما والد العروس فيتفاوض مع أصحاب الحمام لحجز الحمام بكامله أو بعض المقاسير أو مقصورة واحدة بحسب القدرة المادية لأبي العروس ،كما يجب عليه التوصية على الطعام ويتألف الطعام المجلوب إلى الحمام على الأكثر من الصفيحة مع الفواكه واللبن هذا إذا كانت الأسرة غنية ، أما إذا كانت على قد الحال ، فتحضر أم العروس معها المواد والأدوات اللازمة لإعداد المجدرة بزيت في الحمام . وبعد ظهر يوم الحمام تتوافد المدعوات بعد وصول أم العروس والعروس إلى الحمام ، وبرفقتهم بعض الحمالين يحملون متطلبات الحمام وتتكون من الأغراض التالية إضافة إلى الطعام .

١ – مئزر الحمام : وهو خمري اللون ، على الأغلب بالنسبة إلى الأغنياء من أهل دمشق ، وقد طبعت عليه نجوم ذهبية اللون وعليه أشغال إبرة بالقصب ، وهو عريض من الكتفين يشبه القفطان القديم .

٢ – يوضع المئزر داخل بقجة من المخمل الأحمر وقد طرزت جوانبها بالبراق والخرز ، مع أشغال من خيطان حريرية على شكل شراشيب حول البقجة .

٣ – القمط : جمع قمطه وهي عبارة عن محارم كبيرة من الشاش ، مربعة الشكل تثنى على شكل مثلث قبل وضعها على الرأس وتستعمل لتنشيف شعر الرأس بعد الحمام ،

تزين أطراف القمطه بأشغال على شكل شراشيب تعمل بالسنارة الواحدة ، وتحلى بالخرز والبراق على أشكال هندسية جميلة وتعقد بشكل جانبي لتتوافق مع الغرة فوق العين اليسرى على طرف الجبين ،

٤ — بقجة بيضاء مزينة الأطراف بخيوط حريرية أو قطنية ، ملونه ، وهذه البقجة مخصصة لوضع المناشف البيضاء وتكون أحيانا منسوجة بخيطان مزينه بالذهب والفضة .

٥ — توضع في بقجة خاصة مجموعة من السراويل ((الكيلوتات)) البيضاء الطويلة طول الساق يتجاوز الركبة ، وهذه السراويل مصنوعة من القطن الصافي .

٦ — مجموعة من الشلحات : والشلحة عبارة عن ثوب داخلي بدون أكمام تربط من ناحية الأكتاف بشرائط ملونه أحيانا وتلبس تحت الثوب وهي أشبه بالقميص الداخلي لدى الرجال .

٧ — الطاسة — وتجلب أم العروس مجموعة من الطاسات ، وهي تستعمل لصب المياه وتصنع الطاسة من النحاس وتطلى من الداخل بالقصدير والأسر الشامية الغنية تزين الوجه الخارجي للطاسة بنقوش مختلفة لذلك تسمى طاسة مكاوية . وتحمل بعض العبارات مثل حمام الهنا ، أو بعض العبارات والنقوش القديمة وكستعمل كرقى من العين أو من الحسد أو غير ذلك . وتكون طاسة الحمام عالية الجواني ومقببه من الوسط إلأى الأعلى لتتمركز بها الإصبع الوسطى لليد حتى لاتنزلق الطاسة من اليد الملوثه بالصابون .

وإذا كانت الأسرة غنية فإن الطاسة تطعم بالذهب والفضة وأحيانا ببعض الأحجار الكريمة . وتستعمل الطاسة لسكب الماء على الرأس والجسم وقد تعمد بعض النسوة لأخذ الطاسة خفية لتعطيل الإستحمام ولذا يقال كمثل على الفوضى والضجيج ((الطاسة ضايعة))وكثيرا ما تقوم أم العروس بإحضار أكثر من طاسة أي عدة طاسات .

٨ — الصابون : والصابون الصالح والأجود في مثل هذه الحالات هو صابون الغار المصنوع من زيت الغار الممزوج بالترابة الحلبية مضاف إليه بعض العطور ودهن اللوز .

٩ – الترابه الحلبية : البيلون : والهدف منه إعطاء نعومة للشعر وجلد الرأس وإعطاء رائحة جميلة لرأس العروس

١٠ – المشط : ويتألف من قطعة من العظم لها جانبين الأول خشن لتخليص الشعر وخاصة الأجعد كثيرا ، والثاني ناعم لتمشيط الشعر ، وتحاول النساء خلال تمشيط الشعر عدم تقصيف الشعر وقلعه من جذوره ، وأحسن الأمشاط ما صنع من عظم السمك الكبير . ((سن سمك)) كما كان يسمى .

١١ – الليفة ، وكانت تصنع من خيوط قطنية تنسج بواسطة سنارة واحدة ، وتتبارى النسوة في دمشق بحياكة الليف بأشكال هندسية بديعة ، وداخل الليفة المؤلفة من طبقتين ، توضع خيوط من الليف النباتي ، ليعطي الليفة السماكة المطلوبه ، وقد تكون الليفة من نبات خاص أو من خيوط نباتية ليفية فقط دون غلاف قطني عند الفقراء من الأسر الشامية ،

١٢ – الحناء : وذلك لصباغة شعر المسنات من النساء واللواتي لم يضعن الحنة على رؤوسهم في ليلة الحنة ، وغالبا ما تكون الحنة مكاوية جلبت من المدينة المنورة خلال موسم الحج ، .

عندما يصل موكب العروس إلى الحمام ، تكون المعلمة بانتظار الموكب واقفة بالقرب من باب الحمام لاستقبال المستحمين ، فيوم حمام العروس من الأيام السعيدة بالنسبة لها ، هي والعاملات في الحمام لما يغدق عليهن من الإنعامات والبخشيش والإكراميات ، والهديا والأطعمة أحيانا حسب غنى أهل العروس ، .

يدخل موكب العروس إلى الحمام بترحيب المعلمة التي تقول : أهلا وسهلا أنستمونا ، شرفتو ، ياهلا بالعروس ، الله يهنيها بعريسها ألخ . . . . من عبارات الترحيب .

وبنفس الوقت تكون البحيرة في القسم البراني داخل الحمام تغدق مياهها من النافورة الجميلة ، وقد وضعت على أطرافهابعض اصص النباتات المزهرة الجميلة . أما سقف القسم البراني فيكون مشتملا على قناديل زجاجية مثبتة بالسقف من أصل البناء كي يدخل النور منها للحمام ، كما توضع المناشف على حبال مرتبطة بالسقف لتتدلى وتجف

من أثر تنشيف الجسم بها ، تقوم المعلمة بتناول المناشف من على الحبال بواسطة قصبة في يدها ، وتقدمها للنساء اللواتي خلعن ملابسهن ، فتلتف كل واحدة منهن بمنشفتين أو ثلاثة وتجلس أمام البحيرة على متكئات من الفرش المحمولة على الخشب ، وذلك كي لاتتأثر من التغير في درجة الحرارة بين الطريق وداخل الحمام ، هنا تتناول النساء المسنات الأراكيل وتبدأ نفث الدخان ، وأراكيل الحمام من النوع الكبير يشبه أراكيل أهل الساحل في سورية ، وهي أي اركيلة تتحمل كمية كبيرة من التتن ((الدخان)) وكلما خفتت نار الأركيلة تقوم إحدى العاملات بوضع قطع الفحم فوقها بعد نداء الزبونه بالطرق على جانب صحن الأركيلة ونداء المعلمة عمريها ، الله لايطفيلكم نار .

وتقوم أم العروس وبعض المدعوات بمداعبة أطراف بربيش الأركيلة بشفاههن ، وهن يتبادلن عبارات المجاملة . وخلال ذلك تقوم العاملات في الحمام بقرقعة موسيقية بقباقيبهن العالية ترحيبا بالعروس خلال تنقلهن ، تريك — تراك
بعد ذلك تأتي المعلمة وتبسط سجادة كبيرة على المسطبة في صدر البراني للحمام وتدعو اليها أم العروس وكبار النساء المدعوات ، وتقدم لهن الزهورات والشاي أو القهوة .
وخلال ذلك تقوم النسوة بالنطر إلى جسم العروس وهي تخلع ملابسها من خلال المرايا المثبته على جدران القاعة الخارجية بالحمام ، وتكون العروس خجلى من أنظار النساء اللواتي يحدقن بكل قطعة من جسمها ويعلقن : ماشاء الله ، عين الحاسد تبلى بالعمى ، حصنتك بآيات الله وتصيح الأخري ، حصنتك بأسماء الله الحسنى .
ثم تنادي المعلمة البلانه وتقول لها : المية سخنه ، الحمام نظيف ، جاهزة ، وتطلب منها الإعتناء بالضيوف والعروس والمستحمات وتقول هدول أسرة أغوات أو بكوات أو مأمرين بالدولة العلية وهن حيشوفو خاطرك الخ . . . . . .

وعندها تبدأ الزغاليط ، ونورد هنا بعضا منها :
أوها : شوهالنهار اللائق ،
أوها : فرحت كل الخلايق
أوها طقت قلوب الأعادي
أوها لما حقت الحقائق .

لالاليش .
وتجيب أم العريس أو إحدى الحاضرات :
أوها ياما قعدوا جنبي .
أوها ياما حرقوا قلبي .
أزها وقالو ما بتجوز .
إوها تجوز ونصرني ربي .
لا لا ليش .
أوها تجوز وحرق قلب الأعادي .
أوها وطقق قلوب الأعادي . لالالاليش .
ثم تقوم إحدى قريبات العروس بالإجابه :
أوها زأزأ العصفور
أوها وتخبا بين الورق
أوها والعدو ما نال مرادو
أوها وكل يوم عنا فرح . . .
لا لا ليش .
وتدخل النساء إلى القسم الوسطاني من الحمام ، وهن يرددن : هيا واسم الله
هيا وما شاء الله
هيا وصرنا أهليه
والعدو ما يوفقه الله .
ثم يغنين :
اسم الله اسم الله يازينه
ياوردة في هذة الجنينه ، إلى آخر الأغنية . . .

وهنا تبدأ البلانه بغسل رأس العروس بعد إزالة رباط الحنه ، ويجب أن يكون غسل الرأس سبعة تمام بالكمال والتمام . مع تسريح الشعر ، ودلكه بنبات الغار ، ليصبح ناعما ، وخلال ذلك تقوم صديقات العروس من بنات حارتها وجاراتها بالغناء عتابا

وميجانا ، وتقوم احدى زميلاتها بالزغاريد فتقول :

لأوها حصنتك بياسين

أوها يا زهر البساتين .

أوها يامصحف صغير مطوي .

أوها ياعروس السلاطين . لالالايش .

وتقوم رفيقة أخرى بترديد :

أوها ياصحن توث

أوها مجلل بالياقوت

أوها كبروا اليتامى

أوها وفتحوا بيوت

لالالايش .

ثم يبدأ تناول الطعام ، فتجلس أم العروس والعروس بجانب بعضهن مع العمات والخالات والصديقات وبنات الجيران ، بحلقة دائرية ، حتى لا يبقى مكان في الحمام إلا ويشغل بالمدعوات أو أطباق الطعام والحلوى ، وتشرع النساء بتلقيم بعضهن وتشديد العزيمة على الطعام بترديد الأيامين وترديد الدعوات الصالحة بإكثار الخير على رب الأسرة الداعية والمنفقة ، ويتخلل ذلك بعض الزلاغيط مثل :

أوها فصلتلوا قنباز

أوها مالو ركوبات

أوها تغدوا الجماعة

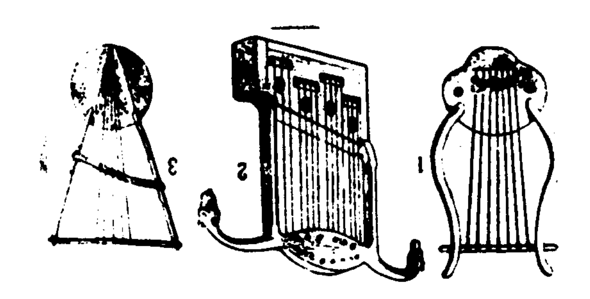
أوها وزعوا الخبزات . . .ـز لالالايش

بعد ذلك يبدأ تفريك جسم الفتاة بكيس من القطن أو الحرير الخشن ، لتتساقط الخلايا الجلدية الميته فتائل فتائل على الأرض . ثم يدلك جلدها بالعفص ليشتد الجلد ويبتعد عن الليونه ثم يدلك الجسم بالصابون عدة مرات بواسطة البلانه أو أم العروس حسب الظروف ، بعد ذلك يجفف الجسم بالمناشف ليدلك الجسم مرة ثانية بزيت الورده الدمشقية ، لتصبح رائحة جسمها مقبولة . وبعد ذلك يدلك الجسم بالمسك واللبان .

خلال ذلك الوقت تكون النساء المسنات قد انهين غسيل الحنه من على رؤوسهن وجباههن **فيتوجه موكب العروس إلى الوسطاني ، ترافقه الزغاريد المعتادة السابقة** وبعض الأغاني ترددها البنات الصغيرات كتعبير عن فرحتهن .

بعد البقاء فترة من الوقت في الوسطاني يتجه الموكب إلى البراني حيث يجلس الجميع ويتناولن القهوة ، وتحضر البلانه والريسة فتقدم أم العروس البخشيش والمال المتفق عليه والهديا إلى العاملات في الحمام جزاء ما قدمن من أعمال وترحيب ، وتقوم العاملات بكيل المديح لأسرة العروس والعريس ، ،

بعد ذلك يبدأ خلع المناشف لتغسل ويلبس الجميع البستهن النظيفة بدلا من الثياب التي حضرن بها ، وذلك ضمن عبارات التهاني والتبريك / وما زاد من الطعام يبقى لعاملات الحمام ورجال الوقيد في القميم المجاور للحمام . . . .



الفصل الثاني عشر

الحنة والنقش

و الحنة عادة قديمة تعود إلى ما قبل الإسلام ، وقد روي عن الرسول ﷺ أنه قال لأبي بكر الصديق (ر) عندما أحضر أباه إلى رسول الله ، أنظر قليلا من الحناء لتستر شيبته ، ومن أشهر ليالي الحنة في التاريخ ، ليالي الحنه لابنة الخليفة العباسي ، قطر الندى ، عند إعدادها للسفر إلى مصر لتزف إلى خمارويه ابن والي مصر ابن طولون . ومنذ ذلك الوقت أطلقت الأغنية الشعبية القديمة

الحنه الحنه ياقطر الندى

ياعيوني أنا وحبيبي بالغرفه سوا

الحنه الحنه ياقطر الندى

. . . . .بالهوى سوا

وتكون ليلة الحنه قبل موعد العرس بعدة أيام ،حيث تحضر والدة العروس كمية كبيرة من الحنة تكفي ابنتها وكل المدعوين ، ويعين اليوم المخصص للحنه مساء لأن الحنه حتى تلقط وتؤثر على الجلد وتلونه يجب أن تبقى ملاصقة للجلد أو الشعر مدة ست إلى ثمان ساعات . لذلك يجري لصق الحنه ماء لتقوم العووس والمدعوين لحمام الحنه بالإغتسال صباح اليوم التالي .

في مساء ليلة الحنه عندما يكتمل جمع الفتاة مع صديقاتها مساء .تبدأ الألعاب والأغنيات ، وبعدها يجري تناول العشاء من الأكل الخفيف والنقول ، والمجففات كالزبيب مع الجوز أو التمر أو اللوز والبندق مع التين ألخ . . . .تكون والدة الفتاة قد أحضرت الماشطة وهي المزينه بلغة العصر أو تحضر الداية أو إحدى كبيرات السن بالعائلة إذا كانت الأسرة متوسطة أو حسب التعبير العامي على قد الحال .

تقوم هذه المرأة بعجن بودرة الحناء بالماء وأحيانا يضاف إليها بضع قطرات من الزيت ، تقوم الماشطة المزينة بتغطية بعض أقسام من أيدي الفتاة ، وكذلك بعض الأقسام من أرجلها إلىى ما فوق الكعب بالقماش وذلك لاخفاء كبر أيدي الفتاة ، أو بعض التجعدات ، أو خشونة البشرة بخطوط الحنه أما الأقدام فتوضع عليها الجنه عرضانية لتخفي عيوب رجل الفتاة من نحف فيها أو قلة الحم أو عدم دقة العظام ألخ . . . . وقد يستعاض عن الحنه بالخلاخيل لدى الأغنياء . أما في الريف فلا بد من الحنة لتغطية الكعبين وتشققات الجلد في القدمين .

كما أن الحنه تساعد على إخفاء مواضع جذور الشعر على الرجلين إذا كانت الفتاه كثيرةالشعر و كما كانت الملكة بلقيس التي بنى لها الملك سليمان الحكيم أرضا من المرمر لتعكس صورة أقدامها وأرجلها لأن البعض أخبره أنها كثيرة الشعر أي أنها سلعاية ، أو سعلاوايه . يزال الشعر قبل ليلة الحنا بعدة طرق منها مركبات الخردل وهي مادة سامة تؤذي الجسم أحيانا ، أو بواسطة العقيدة وتصنع من السكر المعقود كثيفا ، بعد تناول الطعام تبدأ البنات رفيقات العروس بإنشاد

حنه حنه تحنينا يوم الفرح لبينا

حنه حنه يانسوان حنو بنت السلطان ،

وتقوم بعض الأسر الغنية بدهن بشرة الفتاة بدهن اللوز وماء الورد ليكتسب النعومة المطلوبه . كما يعطي أحساسا لذيذا للفتاة يزيد في إثارتها عند ملامسة العريس لها ليلة الدخلة .

بعد ذلك تبدأ مرحلة طلي اليدين والرجلين بالحنا وكذلك الشعر إذا كانت الفتاة شديدة السمرة غامقة اللون لتعطي لمنظرها بعدا عن اللون الداكن وينعكس النور على شعرها وبشرتها . وتبدأ مرحلة رسم الخطوط على اليدين والرجلين وذلك بتغطية قسما منها بالقماش ةتقوم بهذا العمل الماشطة أو إحدى النساء المقربات من العروس ، واحيانا الجدة . وإذا كانت الفتاة هائمة بحبيبها وخطيبها فإنها تجعل هذه الخطوط على شكل اسمه كتعبير عن ترحيبها بهذا الشاب وسرورها بالزواج به ،

في صباح اليوم التالي يذهب الجميع إلى الحمام للإغتسال وغسل بقايا الحنه وهناك تزال الأربطة كما سيأتي معنا في حمام العرس .

بعد الحنه يأتي دور النقش ، أو الدقة . والنقش رغم أن الفقهاء قد نهوا عنه باعتبار أن الله خلق انسان في أحسن تكوين فإنه.كان متبعا بكثرة في القرن الماضي وهو أكثر استعمالا في الريف . وكان للنقش حارة خاصة في دمشق هي حارة النقاشات ، داخل دمشق ا لقديمة ، ويكون النقش بواسطة الشمع وبعض الخلاصات النباتية وبعض الزيوت اللزجة إلخ . . . .

تسلم العروس يديها ورجليها إلى المرأة النقاشة التي تمارس عملية الرسم . تقوم هذه المرأة برسم بعض الخطوط والأشكال والخطوط على بشرة الفتاة وعلى أيديها وأرجلها .

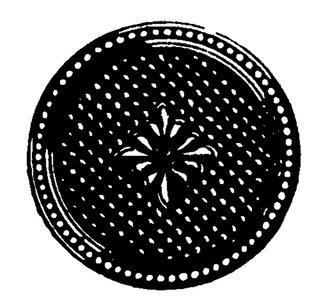
وهذا النقش لايزال يقوم به شباب البورنو وبناتهم إلى اليوم وتنشر الصحف والمجلات كثيرا منه .

وبما أن النقش تستعمل به بعض الأدوات الحارة والشائكة لذلك تبكي الفتاة من الألم ، وتقوم زميلاتها من بنات الحارة برفع أصواتهن بالغناء ، وبعملية التهوية بواسطة المراوح ، وتكون هذه المراوح من القش ، أما إذا كانت الأسرة غنية فتكون من ريش النعام .

وتقوم بعض رفيقات الفتاة بإطلاق النكات اللطيفة تخفيفا للعروس من ألآم آلحرق بالشمع والوخز بالإبر . . .كما يعملن على إضحاكها ، وحملها على الثبات والصبر ، بينما تقول لها خالاتها وعماتها : لكان يلي بدو ينام هالنومات اللذيذةبدو يتحمل هالحرقات المكربة ، أو بكره بعد ما بتنامي مع عريسك بتنسي كل شي . . . وتقول أخرى : لكان لقمة العريس مقمرة ما بتاكلها إلا كل مشمرة . وهكذا . . .

وتقوم بعض رفيقات العروس بنقش بعض الرسوم على أيديهن أو ارجلهن لاعتقادهم أن هذا يجلب البخت والحظ لهن ، ويتفاخرن أمامها بالصبر وشدة التحمل . ويقلن لها ضحكات . ياريت نحنا تجوزنا ويرقوا جلدنا بالشمع والوشم .

في اليوم التالي تأتي النقاشة فتحل رباط النقش وتزيل الشمع وتصحح رسوم النقش كما تصلح أظافر الفتاة بقصها وتنعيمها . من أطرافها حتى لاتخرمش الفتاة زوجها ليلة الدخلة سواء من الألم أو الذة . . ويدهن مكان النقش بالزيت ودهن الورد أو البنفسج ، لتبقى علائم النقش بارزة بألوانها الزرقاء والبنية والترابية بشكل لطيف ومحبب لدى النساء والرجال على السواء



الفصل الثالث عشر

إعداد العروس بعد الحمام

ذكرنا في الفصل الماضي عن النقش والحنة وحمام العرس ، بعد الحمام تنتظر العروس اليومين الباقيين حتى يحين موعد العرس تقوم خلال هذين اليومين بتدليك جسمها بماء الورد وعطر البنفسج ، عدة مرات في اليوم .

بعد صلاة العصر من يوم العرس تعد مسطبةوهي مرتفع في صدر إيوان بيت أبو العروس ، تجلس عليه العروس ، ثم تأتي الماشطة أو الداية وغالبا ماتكون الإثنتان إمرأة واحدة ، فتقوم بتمسيط شعرها بواسطة المشط وخلال ذلك تقوم زميلاتها ورفيقاتها وجاراتها برفع أصواتهن بالزلاغيط المناسبة للموقف ، ويقلن :

أوها ياشعر فلانه يا قصاقيص الذهب ،
أوها ياشعر فلانه شافهم العريس وهرب ،
أوها ياشعر فلانه ياطول ياطول
أوها ياشعر فلانه يابنت الأصول
لالالاليش

وبعد ذلك تقول الأم :

أوها وخدودك تفاح الشام
أوها وشفافها رق الفنجان
أوها وصدرها رمان معان
أوها وعيونها سود لوزيه
أوها وطقفت كل . . . .
لالالاليش .

وبعد أن تنتهي من تمشيط الشعر ، ودهنه بالدهون ليلمع ويتألف عادة من دهن الآس مع الهليون المسلوق ، والخردل . أو يؤخذ حب الغار واللادن والأفنستين ويخلط مع جوز السرو ودهن الآس . أما إذا كانت الفتاة ذات شعر أجعد كثيرا يشبه شعر الزنوج فإن المادة التي يدهن بها الشعر ليزيل تجعده هي : لعاب بزر قطلونا ولعاب بزر الخطمية ولعاب السفرجل ويطلى به الشعر فيزول قسم كبير من تجعده .

أما الفقراء فيستعملون لتطييب رائحة البدن خلاصة زهر النمام والنعنع وورق التفاح ويطبخ ويطلى به البدن فتطيب رائحته . أما إذا كان للفتاة رائحة منتنه لجسدها وخاصة في أصول الفخذين والإبطين ، فإنها تدهن جسمها بخلاصة الزعتر والزوفا وبزر الحرمل . وهناك كثير من الوصفات الشعبية وكلها تهدف إلى إزالة شعر المرأة عن الفرج والإبطين وباقي المناطق الحساسة من جسمها منذ كونها في مرحلة البلوغ مذكورة في كتب الطب العربي ولا مجال هنا للإفاضة بالشرح بها ويمكن الإجابة عن ذلك برسالة خاصة .

بعد أن ينتهي تمشيط الشعر ، ودهنه بالدهون المختلفة حسب الحاجة ترش على الشعر عطر النسرين لتثبيت الللون الأسود يبدأ تشبيك الشعر بأمشاط مختلفه مزينه ببعض الأحجار الكريمة كالفيروز والعقيق من مختلف الألوان والأشكال .
بعد التمشيط . يبدأ حف الوجه والتدليك ونتف الشعر عن بشرة الوجه ثم دلكه بالسليماني وهو من مركبات الزيبق إذا كانت العروس سمراء غامقة اللون . بعد ذلك يدلك قليل من هباب الحمرة بواسطة قطعة من القطن . ثم تكحل العيون بالكحل الحجري ، ثم يوضع الخطوط على الحواجب والأجفان ، ثم تزين جانب الذقن بالنقاط السود ، شامات .

ويوضع على رأسها بعض زهرات الفل وأطواق الياسمين وبعض الورود . وهذه الزينة بدلا من الشامات لأن الشامة تدل على سمو الأصل وهي الإنتساب إلى الأصل الإسماعيلي ، أو النبوي ، لأن الرسول عليه الصلاة والسلام شامة في كتفه ، وهكذا أكثر أهل البيت رضي الله عنهم .

وتوتضع الشامات خاصة على وجه العرائس ذوات البشرة البيضاء ، لاعتقاد سكان دمشق أن الأصالة العربية في البشرة السمراء أو القمحية وأن الفتاة البيضاء تبقى مجأجأة وبارشة . أما السمراء فكما قال ابن جمال باشا : فمن أراد السكن ، وحسن العشرة ، فعليه بالعربيات فهن أحسن حالا من جميع الأجناس ، وبعدهن الشاميات والبحرينيات وهن أوسط النساء .

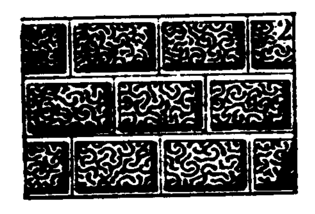
بعد ذلك تضع على وجهها ذرات لامعة تسمى عرق الستات . ثم تدلك إحدى المدعوات يديها وأرجلها بالمسك والدهون والعطور بعد إزالة بقايا الشعر ، ثم تضع الداية بعض المواد النباتية لإزالة روائح العرق وخاصة بين أصابع القدمين حتى لايأنف العريس عند قيامه بالصلاة على ذيل ثوب العروس عند الدخلة .

بعد ذلك تقوم الماشطة أو الداية بإلباسها ثوب العرس بمساعدة الخياطة وبناتها العاملات عندها ، حيث يحضرن ليفزن بالحلوان إضافة إلى بعض المآكل التي تقدم لهن . ثم تلبس العروس حذاءها وغالبا ما يكون من قماش الحرير المطابق لألوان الثوب مع نعل خفيف . . أما بنات الفقراء فتكتفي ببابوج أحمر أو أصفر حسب المتيسر في الدار .

بعد ذلك تقوم والدة العروس بوضع المصاغ : فتضع المطيف على الصدر ، وأطواق اللؤلؤ على العنق ، والأقراط على الأذنيين ، ويوضع على رأس العروس المقنزع وهو عبارة عن تاج على شكل مثلث أو طربوش من المعدن قصير مزين بالجواهر واللآلىء ويوضع ستار شفاف على الرأس والوجه وتؤمر العرووس بعدم الحركة بعد أن تجلس على كرسي كبير ((كنبه))وهنا تبدأ الصمده ، حيث يتجمع المداعي يغنون ويرقصون حولها ويشاهدنها : ويقلن : اسم الله عليك / اسم الله على بدنها ، حصنتها بالله العظيم . الله يعينها على هذه الليلة .

وتحاول أم العروس أن تجنب ابنتها عض الكلمات المستهجنة من الحساد فتطلق مجموعة من الزلاغيط كلما تكلمت بعض المدعوات بكلام لايعجبها ، وهكذا تستمر الصمدة حتى أذان المغرب .

خلال ذلك تقدم المرطبات ((الدندرمه)) والقهوة وقد يوزع أهل العروس الكعك لان المدعوات سيبقين حتى الصبح بدون طعام فيكون أشبه بعصرية ، أو تقدم بعض الحلويات كالبقلاوة ةالنموره أو زنود البنات أو صرة الست . وأحيانا الشعيبيات بالقشدة . وتتبعا بعض الفاكهة وأنواع من الراحة بالفستق واللوز والصنوبر . . .



الفصل الرابع عشر

نقل الجهاز إلى بيت العريس

تحضير الجهاز من وظيفة المنجد بالدرجة الأولى ، يذهب كل يوم إلى دار العروس ويفصل القماش وينذف القطن والصوف وتعاونه بعض النساء في خياطة الطواطي والفرش واللحف والمخدات التي تصنع من القش للإتكاء ومن القطن للنوم وكذلك الوسائد المربعة ((القرن)) أضافة إلى الحصر ، بعد انهاء الإعداد يطلب أبو الغروس من صبيان الباعة وبعض الحمالين وفقراء الحي المساعدة في نقل الجهاز إلى بيت العريس ، فيحمل كل منهم فرش : وهو قطعة مدورة من الخشب بقطر متر تقريبا . يوضع عليها الجهاز فيحمل الحمالون القطع الثقيلة كالقواطع والطواطي والصندوق والبيرو والدفوف إضافة إلى الفرش واللحف والمخدات المحزومة بالمرس .

ويتألف موكب جهاز العروس المتجه من دار العروس إلى دار العريس مما يلي :

١ — المختار ووجوه الحي وترتيبهم في المقدمة ،

٢ — حامل المصحف الشريف ويكون قد وضع المصحف في ثوب من المخمل الأحمر مزين بالخيوط القصبية والذهبية .

٣ — حملة البقج البيضاء القطنية والبقج الحمراء المخملية ثم بقج المخمل الأزرق وبقج الأغباني والدامسكو وكل هذه البقج مملوءة بالملابس والبياض كالشراشف والجلايل وغيرها

٤ — حامل وسادة العريس .

٥ — حملة اللحف الشتوية و((الجودلي))

٦ — حملة الفرش .

٧ — حامل سجادة الصلاة .

٨ — حامل سجادة المربع أو القاعة .

٩ – حامل المرآة .
١٠ – حامل الصندوق الخشبي .
١١ – حامل الدف .
١٢ – حامل البيرو ((للملابس الداخلية .
١٣ حامل طاولة الكتابة .
١٤ –حملة الخزف – القناديل والكازات والأراكيل ، وزبادي الصيني والشيني لأ . . .
١٥ –حملة الطواطي .
١٦ – حملة الوسسائد – المخدات – المحشوة بالقش والقطن والنخالة أحيانا .
١٧ – حملة الستائر .
١٨ المنجد ويحمل أدواته معه ليشرف على ترتيب الأغراض أي جهاز العروس في دار الزوجية . ويعتبر هذا الموضوع هاما لأنه يمثل عنصر الدعاية للمنجد ليعرض أعماله ويكسب بعض الزبائن الجدد .

ويتبع الموكب شباب الحارة وأم العروس وهنا تبدأ الزلاغيط فتقول أم العروس :

أوها الله يسلمك يا أبوها
أوها ويكتر الخير والمال عليك .
أ وها طلع جهاز المدلله طلع
أوها والله من دارك طلع .
لالالالاليش

وعلى طول الطريق تكون فرش الحمالين التي وضعت عليها الملابس المذهبة والملونه والبقج معروضة للمارة . وتقوم أم العروس وبعض النساء المسنات بالزلغطة للفت أنظار المارة إلى نوعية الجهاز وكثرة التحف التي أخرجت . وهذا كله من البدع التي يتفننن بها الأغنياء أمام الفقراء وقد نهى عنها الشرع الإسلامي الشريف .

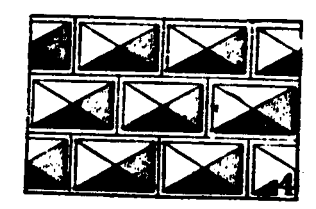
وخلال ذلك تطل نساء الحي من شرفات منازلهن المغطاة بالأخشاب المتداخلة

(الخص) لينظرن إلى الجهاز من علو ويطلقن الزغاريد وكلها مدح لوالد العروس الذي جهزها بجهاز لامثيل له. وكذلك لعائلتي العريس والعروس.

عندما يصل الموكب إلى دار العريس تبدأ الزلاعيط من أم العريس وإخوته ويعملون إلى استقبال الموكب :

عندها يفتح الباب الكبير لا باب الخوخه، ليدخل الموكب واحدا واحدا. وبعد اجتياز المدخل أو الدهليز يشير أخو العريس أو والده إلى الحمالين لوضع كل حاجة في مكانها المخصص كما تشرف أم العروس وإخوتها على وضع الأشياء وترتيبها وخاصة الأوني الزجاجية والقناديل والزبادي وكذلك اللحف والستائر والأغطية ويعملن من الصباح حتى المساء حتى ينتهي ترتيب كل غرض في مكانه وعندها يعود الحمالين بعد أن توزع عليهم المآكل والبخشيش. بعدها تقوم أم العروس بإغلاق الباب وتضع المفتاح في جيبها حتى ليلة العرس. وذلك خوفا من فضول بعض النسوة وخوفا من حدوث حوادث تخريب لأن بعض النسوة قد ينزعن أو يوسخن أو يسرقن بعض محتويات الجهاز.

عند خروج الحمالين جماعة يهزجون ببعض الأغاني الشعبية والزجل.



الفصل الخامس عشر

بطاقات العرس

عندما يقارب الجهاز على الأنتهاء وتكون
عملية الإعداد للعرس والتي تشوق البها العريس كثيرا تذهب أم العروس إلى دار العريس وتستعلم من أم العريس عن التحضيرات الخاصة بالعرس وموعده ومكان انعقاده وعدد المدعوين من أهل العروس وأهل العريس.
. يكون العدد عكس ما هو جار عند كتب الكتاب حيث أهل العريس أن يدعون ثلثي المدعويون إذا كان هذا حدث في الكتاب ((العقد)) .
وعندها يقوم العريس أو والده بطبع بطاقات الدعوة . في إحدى المطابع ، أما قبل ذلك عند عدم وجود المطابع فكان يخبر الأهلية عند اجتماعه بهم في المسجد ، ويعلن ذلك من مئذنة المسجد في يوم العرس أو قبله . وإذا كان والد العريس غنيا فإنه يستأجر المآذن العشرة التي تؤذن بها الجوقات في دمشق لتعلن عن العرس سوية بعد أذان الظهر والعصر . ولكن الأمر إختلف الآن حيث أصبحت بطاقات دعوة مطبوعة على صفحتين ، صفحة لأم العريس وصفحة لأم العروس وهي عكس يطاقات الكتاب الموقعة من أبو العروس وأبو العريس مع بعض العبارات الخاصة بالمجاملة والتمنيات والتكريم للمدعوين .

وتكتب هذه العبارات بخط جميل مرفقة ببعض الصور ، مثل صورة عريس وعروس ، أو صورة يد تصافح أخرى ، أو بعض الزهور ، أو بعض المناظر الأثرية .

توزع البطاقات قبل عشرة أيام من موعد العرس على الأقل ، وذلك بهدف أن تتمكن النساء المقربات من تفصيل ملابس خاصة بالعرس ، فتتدافع النساء على باعة الأقمشة لشراء التفاصيل ويبدأ الصراع بين النسوة والخياطات لانهاء الفساتين قبل موعد

العرس ، ويصادف الأمر أن نفس الخياطة تخيط ثوب العروس فتعتذر وهنا الطامة الكبرى لأن البحث عن خياطة أخرى تستطيع إنهاء ثوب العرس خلال أيام قليلة من أصعب الأمور . وخاصة إذا كان في الثوب شك ألماس وبراق . وخاصة أن بعض الفتيات اللواتي كن يطمعن في أن يتزوج العريس منهن قبل أن تعقد الخطبة والعقد على العروس ، أقول تعمد إلى تفصيل ثوب أفضل من ثوب العروس ، لتطفىءبهجة العرس عند العروس وتجعل العريس يشعر بالندامة لأنه لم يتقدم لهذه الفتاة وذلك كيدا منها وكيد النساء عظيم .

وفي وصف العرس في دمشق ورد في كتاب نسمات الأسحار في نبذ من كرامات الأولين والأخيار لعطية ين حسن الملقب بعلوان الحموي ، صفة للأعراس التي كانت تجري في أوائل القرن العاشر الهجري رأينا إثباته في نهاية الكتاب .



الفصل السادس عشر

وداع العروس

بعد الصمدة في بيت أبو العروس تقوم العروس التي لبست البدلة الصرما نسبة إلى نوع من الحرير الخاص بهذه المناسبات . وعادة ما تقوم النساء الفقيرات باستعارة بدلة العرس والحلي أو بعضها للزينة ليلة العرس .وعندهل تقوم النساء بترديد الزلاغيط التالية :

أوها صدرك صدرني

أوها جبتلك ليواني

وها ياشمس كانون

أوها ياقمر نيسان

لالالاليش

أوها الشمس لوغربت تسبي محاسنها

أوها والفي لو مال يسقي حواض ريحاني . لالالاليش

أوها مين قال عنك سودا

أوها ياقمر بدري

أوها ياقنينتن قرنفل

أوها ليلة البدري

لالالاليش ، وتردد أم العروس .أوها

أوها ارفعي راسك لا تكوني ذليله ،

أوها ربتك الست ربتك أميرة

أوها ربطنا خيلنا بدار أبوك

أوها ثمانية أيام تحصد شعيري .

إلى بيت العريس تودع الأم ابنتها بنظرة دامعة ويشتد الأمر على البنت التي ستفارق أهلها واخوتها من البنات والذكور وتكون البنات سعيدات لزواج أختهم الكبرى ليأتي دورهن فيقلن ويزغردن عند خروج المكب من بيت أهل العروس :

أوها عالهادي عالهادي .

أوها رجعنا ومعنا زوادي .

أوها واصطادها ياعريس .

أوها إذا كنت صيادي . لالالا ليش .

والعادة أن تصطحب معها العروس ابريقا من بيتها تفاؤلا بأن تلد العروس ذكورا . فأنبوب الإيريق يشير إلى عضو الذكرة بعرفالعامة

طريق العروس : يرسل أهل العريس عددا من العربات السود التي تجرها الخيل إلى دار العروس تفاؤلا . وتنقل هذه العربات المدعوات كلهم على دفعات وآخر دفعة هي التي تنقل العروس ويرافق العربات بعض الشباب خوفا من خطف العروس للمحافظة عليها . وفي حمص تربط خلال الانتقال فردتا حذاء العروس ببعضهما . وهذا دلالة على أن الحذاء جديد ولم يلبس من قبل وهو رمز إلى طهارة العروس وعدم معرفتها الرجال من قبل .

وخلال جولة العروس بالعربات في البلدة يحرص سائق العربة الرئيسية أن لاتمر من أمام مخبز ، لأن ذلك يجعلها تأكل كثيرا خلال وجودها في بيت العريس . والمثل يقول ((ظرافة الصبية بركضها وقلة أكلها . كما لايمررن أمام مقبرة لاعتقاد العامة أن الفتاة التي تمر أمام المقبرة ليلة عرسها يكون عمرها قصير وتموت بعد زواجها بقليل . وهذا كله من المغالطات التي تميز بها القرن الماضي .

عندما تصل العروس إلى بيت العريس مكان العرس ، تتوقف أمام الباب للصق ورقة خضراء لنبات مثل الشمعة أو الهوا ، وبعض الأسر تحل شقفة زرعة خضراء ويتفاءلون بذلك بأن تكون أيام الزواج نضرة وسعيدة ، كما يوضع للعروس كرسي لتصعد عليه وتلصق قطعة من الخميرة فوق باب البيت ، وذلك تفاؤلا بوفرة الخير والبركة

في منزل الزوجية . كما تلصق قطعه من النقد على تراب البيت فوق الدار تفاؤلا بأن **يغدو العريس غنيا موفورا . أو ليبقى كذلك إذا كان حاضر العريس يتميز بالغنى .** وتحمل أم العروس أحيانا زجاجة فبها ماء مسحور برقى قرأت عليه ليبقى زوج ابنتها مخلصا لها فلا يتزوج عليهل وتلقى محتويات هذه الزجاجة في بالوعة الطبخ .

ثم تقوم والة العريس بتقبيل العروس راضية فرحة ويجري احتفال بهذا الاستقبال ويردد اهل العروس من النساء والمدعوات :

أوها ، زيحو من الدرب ياعبدات ويا سودات

أوها زيحو من الدرب لتمرء الستات .

أوها زيحو من الدرب لتمرء أميرتكم .

أوها هادي بنت شيخ العرب جايه تشرفكن .

فيرد عليهن بعض النساء من أهل العريس

أوها أهلا وسهلا فيكم ياضيوف أعزاز

أوها انتو حبابي وجيتو من بلاد أحباب

أوها أحلى من الالتمر أحلا من طبول الباز

أوها احلا من القرش إذا كان صاحبه معتاز . لالالاليش .

ويتابع ذوو العريس الترحيب :

أمها أهلا بكم ألآبكم .

أوها يسلم الدرب الي جابكن .

أوها ويسلم أبو العروس يللي جء بكم

أوها يضرب بحد السيف قدامكن

لالالاليش .

وتدخل العروس صحن الدار فتجده مفروشا بالسجاد والكراسي ومزينا بالأضواء **والزينات وقد نثرت الفوانيس (اللكسات) وكذلك الشمعدانات . تتجه العروس إلى** غرفتها لتتفقد أغراضها وترتب الغرفة حسب ما تعتقد أنه يريحها وتحضر أمها والماشطة

لإصلاح ما فسد من زينتها بعد الشم والضم والتقبيل و . . . وآخرها مرورها أحيانا من بين رجلا حماتها عند باب الدار وهي داخلة إلى منزل العريس .

وتضع ما معها من النقود والحلي وتصف ملابس التفيير خلال الصمدة في بيت العريس ثم تخرج إلى باحة المنزل لتجلس على الأسكي مكان الصمدة وعندها تبدأ ما يسمى بالتفتيلة .

وتبدأ الزلاغيط : فإذا كانت العروس من القريبات يزلغط هل العريس :

أوها ييابايعين البن نحنا بْننا غالي

أوها نيخ جمالك وهات البن لكتابي

أوها مكتوب على جبيننا ما ناخد أنذالي

أوها ماناخد إلا بنات العم والخال . لالالا ليش .

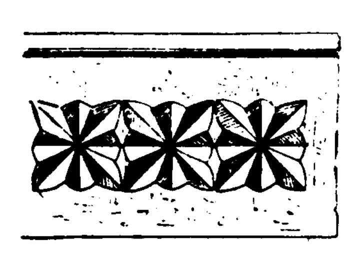
فيرد أهل العروس التحية :

أوها شو هاالعريس يللي حبوه بيت حماه

أوها كبار وصغار وتعلقوا بهواه

أوها قال العريس أنا حبيتهم أكثر

أوها نزلوعلى قلبي أحلى من السكر . لالالاليش



الفصل السابع عشر

التلبيسة

وهي إلباس العريس ملابسه الخاصة بليلة العرس وإعداده لحفلة العرس .وتبد أعمال التلبيسة من الصباح حين يذهب العريس مع رفاقه إلى الحمام ، للإستحمام . حيث يقوم المغسل والبلان بالإشراف على نظافة جسمه ، وذلك بدعكه بالصابون وغسل شعره وتطيبه بالترابة الحلبية ، والتفريك لإزالة الأوساخ من على جلده ، كما يستعمل البعض دواء خاصا من الزرنيخ والخردل لإزالة الشعر من حول العانه ألخ . . . .وخلال الحمام يتناول الشباب طعام الفطور ويتألف من التسقية أو الحمص الممزوج بالطحينه والحمض ، والفول المدمس ، وينتهي حمام الرجال في الظهر ليبدأ حمام النسوان . وبعد عودة العريس وصلاة الظهر يتناول طعام الغذاء وينام استعدادا للتلبيسة . يوم العرس ليلا .

بعد صلاة المغرب يحضر المزين ((الحلاق)) إلى دار العريس ويقص له شعر رأسه ويسوي شواربه ، وينظف له رقبته من الشعر ويحلق له ذقنه ويحضر حفلة الحلاقة بعض أصدقائه الخلص أو خوانه وبعض الأقارب ، . . لتبدأ التلبيسه .

تجري التلبيسة في دار العريس إذا كان العرس في دار أخرى غير بيت العريس ، لأن بعض البيوت تكون ضيقة لاتتسع للإحتفلات ، وعند ذلك يقوم أحد الأقرباء أو أحد الجيران الأقربين بتقديم منزله لتجري فيه حفلة التلبيسة ، وغالبا ما تكون حفلة التلبيسة نقوط تقدمة من هذا القريب وترد عند زواج أولاده من قبل العريس أو أهله .

بعد المغرب تصف الكراسي والمقاعد في باحة المنزل حيث تجري حفلة إلباس العريس ملابسه وتخصص غرفة من غرف المنزل لهذه العملية ، وقبل وأثناء صلاة العشاء وبعد تأدية صلاة المغرب ، أقول يتوافد المدعوين إلى المنزل ، ويحضر أبو العريس

وإخوته وأعمامه وأخواله ، وأولاد الخالات والعمات والعموم إلخ . . . إضافة إلى شباب الحارة من الجيران وزملاء المهنة وزملاء والده وأصدقائه ورفاق حفلات العزوبية ، ليودعوا رفيقهم الذي سيغادرهم إلى فئة التمزوجين .

وبعد عبارات الترحيب بالمدعوين ، وتبادل عبارات التهاني مثل : بالرفاه والبنين . وانشالله زواجة الدهر .

وبعد ساعة من السمر يتخللها أحيانا سماع قصة المولد النبوي الشريف ، وتوزيع الملبس على المدعوين وكذلك المرطبات والشرابات ، ينهض صاحب الدعوة لأن والد العريس وينادي على العريس من بين جميع المدعوين وأمامهم ، فينهض العريس يحيط به والده وإخوته وأعمامه وأصدقائه ، فيدخل غرفة تغيير اللباس الخاصة ، عندها تحضر بقجة تغيير اللباس الخاصة بليلة العرس ، وتفك بعد البسملة ، وتخرج منها الملابس قطعة قطعة ، أمام الموجودين . ثم يخلع العريس ملابسه ويتقدم أحد الحاضرين ويكون أبوه أو أخوه فيفتح زجاجة من العطر أو الكلونيا ، ويفرغها على جسم العريس بين تصفيق الحاضرين ونداءاتهم وتبركاتهم ، وهنا تتعالى الأصوات :

عريس الزين يتهنى
واطلب علي واتمنى
ثم يصيح الكل :
صلو على محمد . . . مكحولة العين . . . ونير وغضير . وعالدنيا ، وهيه ما شاء الله

ثم يناول صاحب الدار العريس ملابسه قطعة قطعة ، وكلما تناول العريس قطعة يصيح صاحب المنزل شوباش ياهو : فيعود الحاضرون للترديد : عريس الزين الخ . . . ثم يصيح الكل : صلوا على محمد مكحولة العين . . . . .

وهنا يعمد بعض أصدقاء العريس والمقربين منه إلى وخزه بالدبابيس التي أعدوها من قبل والهدف منها إثارة دماء العريس الذي نام فترة طويلة تلك الليلة بعد الظهر استعدادا لما ينتظرة في تلك الليلة .

وتعتبر الدنيا هي العملية الجنسية ليلة العرس والعوام في دمشق يطلقون على الشاب **الذي لم يعرف النساء ، بأنه شاب ما دخل الدنيا . ويقال للعريس ليلة العرس ، داخل** دنيا جديدة . وأن عليه أن يقدر ((يغضر)) أي يستطيع أن يدخل الدنيا بفض بكارة زوجته ، التي هي مكحولة العين . . وتنتهي كلمات التشجيع ب هيه وما شاء الله .

بعد انتهاء الباس العريس بين ضحكات الفرح من أقربائه ونكاتهم التشنيعيه للإثارة ، وحركاتهم التشجيعية ، يخرج العريس ليجلس أمام المدعوين ، ويكون قسم منهم قد بارح الدار بعد تناول المرطبات فتخلوا ساحة وسط الدار وتجري المبارزة بلعبة السيف والترس . ويعمد الشباب إلى حركات الخفة بالسيف والترس وتراهم كأنهم يطيرون بين الأرض والسماء بسرعة البرق ، وتسمع قرقعة السلاح الأبيض كأنها أنغام موسيقية بعد أن تنتهي حركات التحماية الرتيبة حيث يطرق كل منهم سيفه على ترس الآخر بالتناوب .

وفي زمن الإنتداب الفرنسي المشؤوم منع استعمال السيوف والتروس حتى في الإحتفالات ، لذلك كان الشباب يستعملون تروس من القماش والصوف ويستعملن الخيزرانات بدلا من السيوف لتفادي الإصطدام بالسلطة المستعمرة الهمجية .

موكب العريس :

بعد ذلك ينتقل لاعبو السيف والترس إلى الطريق ويحمل أصدقاء العريس لكس (فانوس) بيده لينير الطريق ، بينما يحمل البعض الآخر مشاعل تتألف من عصي ركبت عليها المشاعل التي هي عبارة عن قمع من الحديد التنك مثبته ضمنها خرق بالية مبتله بالنفط ، زيت كاز ، وكلما خفتت النار صب عليها الزيت لتزداد اشتعالا وإنارة .

وتبدأ مسيرة العريس على الشكل الآتي :

في المقدمة صبيان الحي بعصيهم الطويلة وهم يرددون مايقوله العقيد في المسيرة بعد حلقة الصبيان يسير لاعبوا السيف والترس مع أصوتهم التي تطلق خلال الحرب وأصوات قرقعة السلاح المعروفة .

طائفة الشباب العزاب من أصدقاء العريس ومكانهم في جانب الركب من جهة

اليسار

طائفة التزوجين من أقرباء العريس وجيرانه وزملائه على الجانب الأيمن من الركب

في الوسط يسير العريس وبجانبه أبوه أو عمه وخاله ومختار المحلة وبعض الوجوه في الحي . وعندما يكتمل الركب يتقدم عقيد الحي أمام الركب ويصيح : ياأهل العدية ، ياسامعين الصوت ، يارجال الديرة ، الله لايقطلكم ذرية ، لمن هذه الراية المجلية .

ثم يقول : كانت الرايه وراية نبينا محمد . . . . وراية الأنبياء الصالحين ، وراية سلطان العرفين . . وراية الوالي والمشير . . .ودوائر الحكومة والمآمير وحاحب التلبيسة .

ثم يعود ويقول : وراية شيخ الحارة . وراية الأكابر ووجوه الحي . وراية العريس ، وراية والد العروس .

وراية كل من صلى على النبي العدنان . وطيب وبيض وش الله الديان . ويجيب الشباب بعد كل جملة طيب الله وشو ما شاء الله . . . وتسمى هذه الراية راية صاحب التلبيسة ، وعندها يسير الموكب . . مع لعب السيف والترس على جماعات وكل جماعة لها هتاف خاص .

أما موكب الصبيان الذين لايتجاوز عمرهم السادسة عشر فيسيرون بالمقدمة وهم ينادون :

ياأولاد محارب . . . . .جو جو رجال مضارب . . . جو جو

شدوا القوالب . . . جوجو إلى آخر هذه الاهزوجة الشعبية .

وعندما يصل الموكب إلى أمام جامع يتوقف الركب لتلحق باقي الفصائل ببعضها البعض . أما موكب الشباب فيقول :

هيا لنا هيا لنا ضرب السيف طاع لنا

هيا لنا هيا لنا غز العرب بأرضنا

أما الطائفة الثالثة من وجهاء الحي فتحمل السيوف ومشايخ الشباب وهؤلاء يرددون

قم ارحل يا أمير الشام هـون ما بقـالـك مقـام
مـا مـقـام إلا بمـكـة مكة عليها السلام
سـلطان مـكـة والحـرم يحكم على كل العـرب
بنـت الـعـرب يـاويحـا بتشرف كـل النسـوان

أما الموكب الرابع وهم من حملة الفوانيس وأكثرهم منو الشيوخ فيتوسط حلقتهم عقيدهم ويرددون :

صلوا لنصلي صلينا
وعليك يا نبينا صلينا وع
وعليك يا تهامي صلينا
مصري وشامي حجينا

وكل هذه الأقوال تأكيد على عروبة البلد في سوريا وأن فرسانه متمسكون بها ولما كان أكثر أهل الشام من العرب القحاطنة من الأصل اليمني لا العدناني ، لذلك كانت عراضات التلبيسة تغمز من سلطة السلطان العثماني الغريب عن العرب ، وتذكر أفضال حكومة المماليك بمصر والشام

ثم يقول مصري وشامي حجينا وهو يماثل ما جاء في القرآن الكريم — حيث التين سعني سوريا والزيتون يعني فلسطين ، وطور سنين أي سيناء يعني مصر وهذا البلد الأمين يعني مكة والحجاز .

ثم يقول

أهل اليمن نحن الحمى أهل اليمن
وسيـوفنـا تلعب سـوا أل اليمن

ثم يقول :

يـاعـليـم يـاغـلام لاتـروح درب الشـمال
يـاخـدك الـتركـماني يملك حال وحال
يعملوا جلدك رباب للشيوخ والشباب

وعندما يصل الموكب إلى أمام منزل أحد الوجهاء يعود للنداء :

كانت الراية وراية أبو فلان

طيب الله وشو ما شاء الله

ثم يتابعون المسيرة فيقولون :

نحن حمى أهل اليمن وسيوفنا تلعب سوا

وذلك أن حكم المماليك الشراكسة كان يستند إلى حكم العرب اليمانية من قبائل ربيعة طي مثل آل عيسى وآل مهنا وآل أبي ريشة ، وآل الفاعور وغيرهم . وكذلك الأمراء التنوخيون والأرسلانيون ، والحماديون الكلبيون في بعلبك ، وجبال اللاذقية ، فلما جاء العثمانيون تبدل الوضع ، وأعتمد العثمانيون على العرب العدنانية مثل الحرافشة في بعلبك والشهابيون والسردية في حوران والحويطات أبنا عبيدة بن الجراح وامعنيون ، والعدوان والطوقان في فلسطين ، وذلك لتعميق الفرقة والإنفصال بين أفراد الشعب الواحد .

وأمام أي جامع يمر الركب من أمامه وكذلك أمام مقابر الأوليلء والمقامات الينية ، يقف عقيد الركب وينادي الفاتحة على نية التيسير للعريس ولزواجه .

وهنا تدور ألعاب السيف والترس وتبدأ الأهازيج التي تدل على شجاعة الشباب بقولهم :

وإن هلهلتي هلهلنالك صبينا البارود قبالك

وإن هلهلتي ياعروبية الواحد منا يساوي المية

ثم يردد المجموع صلوا على محمد . . . . مكحولة العين

وعندما يقتربون من دار العريس ينادون :

شن كليلة شن كليلة

شو هالليلة شو هالليلة

الله يعينه على هالليلة

الله يدبره بها الليلة

ثم يعودو ا إلى الفخر بتنظيماتهم فيرددون :

نحنـــا شبـاب الصــالحيـــة مـــين يقـدرؤ يعـــادينــا

وتثي أهميو هذه المسيرة عندما يتزوج أحد من الصالحية فتاة من أقاربه تسكن حي المزة ، أو بالعكس ، فكانت العراضات تبدأفي الصالحية وتسير إلى مقر زعامة الكلبين في طريقا الصخر حيث يسكن آل مسمار وهو المحطة الأولى في زقاق الصخر بالقرب من جودت الهاشمي الثانويو الأولى بدمشق . ثم يمر لى كيوان حيث أل كيوان من نفس القبيلة وبعدها إلى الفتالة ملر بصنعاء الشام مكان جامعة دمشق حتى يصلوا إلى المزة مقر أولاد الصحابي دحية الكلبي والصحابي أسامة ابن زيد الكلبي قائد أحد الجوش التي حررت أهل الشام من ظلامات الروم .

عند وصول الموكب إلى مقر بيت العرس وغالبا ما يكون بيت العريس أو أبيه ، تعلوا أصوات الشباب بالنالء صلوا على محمد الخ . . . . لتجاوبهم أصوات النساء من الداخل بالزغاليط ، وهنا تقف الحماة أحيانا وتحاول تمرير العريس من بين أرجلها ةقد يرفض العريس ويدفعها بعيدا وأحيانا تتدخل أم العريس وتدفع الحماة إلى الداخل ويدخل العريس وأبوه وبعض إخوته ويبقى الباقون أمام الباب يرددون الهتافات التي تثبت رجولتهم واستعدادهم للتضحية دفاعا عن بلادهم وأرضهم . وتخبوا هتافاتهم شيئا فشيئا حسب انصراف الشباب كل إلى منزله .

في داخل المنزل تعمد أم العريس أن تنزل العروس من مكان صمدتها لتستقبل العريس بينما تمانع أمها وتطلب منها أن تبقى ثقيلة وأن لا تتحرك حتى يصل العريس اليها ، ويصدف أن تشدها أم العريس بقوة لتقوم وتستقبل العريس الواقف مع أبيه بالقرب من الباب فتقع العروس من الخجل ويتأثر هندامها وملابسها ، وبعضهن يتمسكن بالمقاعد بقوة . ومهما كانت الطروف فإن العريس والعروس يتلاقيان اللقاء المبارك بالزواج وتحدث الدوسة على الأرجل والقبل ثم الصمدة والجلوة الخ . . . . . هنا تبدأ ملاحظات النساء المدعوات للعرس همسا وبصوت عالي من الحساد أو المحبين ومن هذه التعليقات :

فرحانه من قلبها ، شايفه عريسها ومو مصدقة مزوجة عصب عنها ، فرحان العريس من كل قلبه ، مو مصدق امتى وصل لها ، باين عليها مزوجه غصب عنها ، كما يلاحظون فارق السن أكبر منها ، متقدم في العمر ، قد أبوها ، لايقين لبعض ، هو أحلى منها ، هي مثل القمر ، قمرين على مخدة واحدة ، شفة غطا شفة وطا إذا كان العريس أسود وهنا تبدأ حفلة العرس كما في الفصول القادمة .



الفصل الثامن عشر

التفتيلة

بعد وصول مداعي العروس إلى مكان العرس وهن يشكلن نصف أو ثلث المدعوات ، باعتبار أن حفلة العرس على حساب العريس وأهله والكتاب واحتفالاته على حسات اهل العروس ، وقبل وصول العريس من التلبيسه تبدأ حفلة التفتيله ، وهي الجزء الأول من حفلة العرس ، وتضمن التفتيلة أغان وألعاب تنسي العروس قلق فترة الإنتظار لعريسها وخوفها من أن تسيء التصرف عند لقائها لعريسها ورغم أن أم العروس والداية وصديقاتها المقربات قد شرحن لها ذلك ، فإن الأوهام والهواجس والقلق تسيطر على العروس والتسلية الوحيدة خلال تلك الفترة هي الغناء وممارسة الألعاب المسلية المختلفه . وتبدأ أم العروس بالزلغطه فتنادي :

أوها زقزق العصفور لانفلق   فيجيبها الحضور : بين الدوالي والورق
أوها يامحلا شوفة الغايب   فيجيب الحضور : ووجه مكللل بالعرق
لالالالاليش .

وتبدأ وصلات الغناء وبين كل وصلة وأخرى تردد الزلاغيط مثل :

أوها يسعد صباحك يارمان مليسي
أوها يلي قطفتك من البستان على كيسي
أوها إن قدر الله وجلست مجاليسى
أوها لاكتب كتابك وحط النقد من كيسي
لالالالاليش

وإذا كانت العروس بيضاء البشرة فتشبه بالفلة أما إذا كانت سمراء فتشبه بالورد الجوري أي الوردة الدمشقية المشهوره وتكون الزلغوطه :

أوها يسعد صباحك يافله أفرنجية —أو يا ورده جوريه

أوها ياورد على أمه ياخلقه إلهية
أوها لو قدموا لي بدالك من الألف للميه
أوها ما إهوى بدالك ولا لي من أحد نيه
لالالاليش

واذا كانت أسرة العريس من ألأغنياء فتحضر مغنيات مشهورات بالإجرة أما افقراء فيتبارى الحضور برفع أصواتهم بالغناء بالتتابع فمن كانت من الحاضرات ذات صوت حسن تكثر مطالباتها بإعادة غنوتها والإكثار من ترديو الأغاني . وأكثر مغنيات العصر الماضي من نساء اليهود باعتبار أن الرجال لايدخلون إلى العرس للغناء حفظا للمحارم من الفتنه وعلى قاعدة حفظ النساء من الإفتتان .

وقد اشتهرت من مغنيات دمشق من نساء اليهود بنات مكنو ، ويضرب بهن المثل في باشاعة البسط والإنشرح في نفوس المدعوات ، وكانت إجرة الليلة الواحدة للعرس تتراوح بين عشرة وعشرون ليرة ذهبية غير البخشيش ، وكانت حفلاتهن العادية تقام في حديقة أم الخمسة بالقرب من حي القزازين قبل فتح شارع بغداد الحالي . وكلمة مكنو تشير إلى بلدة مقنه الجذامية حيث كانت يسكنهاقوم النبي شعيب عليه السلام في منطقة مدين على خليج العقبه وهم ليسوا من بني اسرائيل بل من بني عذرة قوم من العرب دانو بالديانه اليهودية ، وبنو عذرة من العرب المشهورين بشاعريتهم وحبهم العفيف .

ومن المغنيات السوريات في القرن الماضي المطربه نادرة التي امتد بها العمر حتى بداية التسعينات من هذا القرن وكانت سافرت إلى مصر ونافست منيرة المهدية مطربة مصر الأولى بإتقانها الغناء والموشحات الحلبية . وكانت جدتي أم أبي من المعجبات بغناء نادرة وبينهما صداقة بسبب دعوتها إلى كل احتفالات العائلة ، أما جدتي لأمي فكانت من المعجبات ببنات مكنو ولاتترك أي احتفال لهم في حديقة أم الخمسة إلا وتحضره .

أما تخت الموسيقى فكان يتألف من من عازفات العود وضاربات الدربكة والدف المحلى بالصناجات ، المزهر والصناجات . أما الأغاني فكانت من نشوة الماضي والموال الابراهيمي ، وأغاني البقاع وبعلبك بإعتبار أن سكان دمشق من الكلبين بأكثريتهم

وكذلك سكان البقاع وبعلبك حيث العشائر الكلبية الحمادية . ويعتقد الأستاذ العلاف في كتابه دمشق في مطلع القرن العشرين ، أن كلمة أوها أصلها ها هو ويرجع تحليلها بالأصل عن لقيا آدم عليه السلام بحواء حيث بادرت عند لقائه ورؤيتها له بقولها . ها هو وهذا تخريج واقعي وجميل لهذه الصيحة الندائية .
وهكذا تستمر التفتيلة والسمر حتى دخلة العريس إلى دار العرس . عندها تبدأ الجلوة .

يدخل العريس ومعه أبوه وبعض إخوته وأحيانا عمه ،وعند ذلك تتحجب المدعوات بوضع غطاء أبيض على رؤوسهن . فتستقبلهن النساء بالأغاني والزغاريد مثل :

عريسنا هالأسمر يلبس الجوخ ويتمخطر
عريسنا هالزين ليلة زواجه بيتعطر

وتزلغط أم العريس : أوها قالو ما بيتجوز
أوها قلت آه يادلي
أوها وكسروا بخاطري
أوها وأنا ما حلي . . . لالالالاليش
أوها والحمد لله لقيتله عروس
أوها ندرن علي
أوها بإلهنا الكريم
أوها لبخر الدار
أوها بالعود والعنبر .
أوها اشتهى قلبي وما قصر
أوها واشتد جرم الهوى من بعد ما نسم
أوها وحياة نجوم السما الإثنى عشر
الي إثناعشر سنة لهذا النهار بتحضر . لالالالا ليش

ويعد دخول العريس إلى منزل العرس تبدأ محاولة كل من العريس والعروس السيطرة والفوز كل منهما على الآخر فهو يحاول أن يدوس على رجلها من أول لقاء وهي كذلك

ويسمى هذا الفعل الدوسة يقال لمن الدوسة ، وتعتقد العامة أن الفتاة إذا داست على رجله أولا فإنها تتفوق عليه نظرا لخفتها وسرعة ملاحظتها وتبقى مسموعة الكلمة طوال حياتها لدى زوجها . أما إذا داس رجلها فإنه يتفوق عليها ، فإذا كانت أمها آدمية وتطلب السترة فتقول لابنتها :] لأأ لأء[لأ وسلطة الرجل ببيته رحمة للمرأة مابدنا سيطرة السيطرة ما بتلبق للنسوان البيت يللي بتسيطر فيه المرأة نهايته خرابي ، المرأة ربيت تور ما حرت ، لاتحاولي تدوسي على رجله . لأما إذا كانت العروس شايفه حالها وأمها قوية تحب السيطرة ولا يهمها سعادة ابنتها قإنها تقول لابنتها دوسي على رجله وبعدي ، حتى أن الفتاة أحيانا خلال الدوسة تتعثر ةتسقط على الأرض ، وتضحك الحاضرين عايها .

وبعد الدوسةيقوم العريس بتقبيل العروس أمام المدعوين ، وتقوم أم العريس وتقول للعروس شو هادا ميبسه جسمك ، ارتخي أمام عريسك . . . ما بدها شوفة حال صرنا أهلية ، وقد تعمد إلى دفع العروس إلى صدر عريسها لتكسر حدة الخجل الذي ينتاب العروس .

وبعد أن ترقص زميلات العروس وتعتبر الرقصة مناسبة لكل فتاة من الحاضرات حفل العرس لعرض مفاتن حسدها وليونته أمام الحاضرات لتستطيع الدعاية لنفسها ليجيىء نصيبها في الزواج .وكذلك ترقص أم العريس وأم العروس رغم كبر سنهما كتعبير عن الفرح بهذه المناسبة . ثم تقوم أم العريس وتسحب العروس من جانب العريس وتطلب منها أن ترقص كتعبير عن فرحتها . وتقول أم العريس ورجينا ليونة جيمك ، فتقوم الفتاة وترقص وكلما دارت دورة في رقصها تتقدم من عريسها وتقصع أمامه بينما يقوم هو بتقبيلها كلما قصعت بين تصفيق الحاضرات و وملاحظاتهن ، وخلال ذلك تقوم المغنية بانشاد مدائح بجمال الفتاة واسرتها وكذلك عن المركز الاجتماعي لبيت العريس ، وتقدم إلى المغنيات الماء الساخن المحلى بسكر النبات أما الضيافة إلى الحاضرات فتتكون من الرز بالحليب في الشتاء والبوظة في الصيف وتقدم القهوة وكذلك الماء المعطر بماء الزهر ، زهر الحمضيات ، وخلال توقف المغنية عن الغناء تقوم إحدى الفتيات بالرقص لتبرز مفاتنها أمام باقي النسوة المسنات ليتشين أن تكون كنتهن . وخلال الرقص تقوم أم الفتاة بالدعاية لابنتها ، فتقول لها أمام الحاضرات من

المدعوات : مطي رقبتك وحركيها ، رقبتك طويلة أسم الله عليها . وإذا قصعت الفتاة تشمر عن سيقانها لتبرز الساق المكسوة باللحم الغير بارزة العظام فتقول أختها أو خالتها ، الله يحميها من العين عليها سكبة سيقان ما شاء الله حولهم ، إلى آخر هذا المديح الذي يشكل نوعا من الدعاية للفتاة ، وقد تعمد بعض الفتيات إلى استعارة الثياب الفخمة والحلي الثمينة من إحدى جاراتها أو صديقاتها ، وذلك للتعبير عن فرحتها ولإبراز مظاهر الغنى ولإرضاء روح الحسد لدى البعض لعدم فوزهم بالزواج من هذا الشاب أو ذاك أمام أمهات الحاضرات من الشباب ، وبعد كل أغنية ورقصة تقوم النساء بإطلاق الزجل والزلاغيط المختلفة ذات المعاني المناسبة وهي بقايا الزجل البقاعي اللبناني وقد برع فيه الكلبيون في سورية من عصور ما قبل الإسلام .



الفصل التاسع عشر

الدخلة

خلال الجلوة تقوم العروس بتبديل ثيابها عدة مرات وفي كل مرة تلبس ثوبا مختلفا عن الآخر لتبرز مفاتنها أما م العريس وأهله ، وفي كل مرة تدخل غرفتها تقوم الماشطة باصلاح ما فسد من زينتها . ويوضع عادة بجانب العريس والعروس سبت من الخشب يحوي السكر والملبس والألعاب المصنوعة من السكر فتقوم العروس لتوزع من السبت الذي بجانبها على المدعوين ، وكذلك العريس من السبت الذي بجانبه .

عند انتصاف الليل يحين موعد الدخلة وهنا تقود أم العريس وأم العروس العريسين للدخول إلأى الغرفة المخصصة للخلوة . وتكون عادة هي غرفة العروس إذاكان المنزل المقام فيه العرس هو منزل الزوجية .وتكون العروس خائفة فتقوم الدايو أو الماشطة بمؤانسة العروس ويذكر كتاب قاموس الصناعات الشامية عن الماشطة ووظيفتها خلال العرس مايلي :

تقوم الماشطة بالحضور يوم العرس يوم تزف الزوجة ألى بعلها . وتكون الماشطة هي الداية في أكثر الأحيان ، وللداية ليلتئذ أهمية خاصة وعملا خاصا ،توارثته عن الزمنن السابق . وذلك أن كل بنت تتزوج تأتي ليلة الزفاف مع دايتها التي لا تفارقها أبدا ، فهي التي تمشطها ، أي تسرح شعرها ، وتلبسسها ثيابها ، وتزينها بأصناف الحلي ، والشكول ، وما كان في تلك ألأيام من يقوم بهذا الأمر إلا الماشطة وسببه عدم تنبه النساء لدقة التزيين والعناية بأنفسهن وجمالهن فالمرأة القديمة نادرا ما تتزين لزوجها خلال الأيام العاديه وجل اهتمامها بعمل البيت وتربية الأولاد ، وتغفل عما عدا ذلك .

أما في زماننا فقد أصبح المتكفل بتزيين المرأة أهلها وأقاربها وذلك لأن الماشطه المسكينه أو الداية لاتحضر إلا يوم العرس فقط لأجل أن تستأنس بها العروس إذ بعد أن تزف إلى

زوجها وينصرف أهل العروس إلى منازلهم تكون على باب غرفة العريس تنتظره لندائها لغرض للعروس لإحضار شراب ، أو النداء لأم العريس أو أم العروس الخ . . . . أو الذهاب بالعروس لقضاء حاجة أة لفرش الفرش وتبقى خلال الليل عى باب العروسين إلى الصباح ، ويكرمها الزوج بقليل من الحلوى مع قطعة من الشمع العسلي وكمية من الدراهم تتناسب مع ثروة أهل العريس .

ويذكر ابن علوان عن الداية فيقول :

جرت عادة كثير من الأسر أن يزوجن بناتهن صغارا . ففي ليلة العرس لا تطيق العروس اتيان زوجها ، فينادي الزوج للماشطة لتمسكها ، أو تقعد على صدرها ليتمكن منها ، وترفع رجليها قسرا وتشير عليه أن يفعل كذا وكذا . وهي أي العروس تصرخ وتستغيث ولا من مغيث ، وأحيانا تقوم بالأمر أم العروس إذا انشغلت الداية بحادث ولادة مفاجىء . وقد وقع من جراء ذلك حوادث مؤلمة كثيرا ما أفضت إلى موت البنت ضحية الجهل المركب وكل الذنب على أهلها أولا وعلى هذه الجاهلة الماشطة التي لاتجد فرصة لاخضاع الفتاة لعريسها إلا الجلوس على صدرها باعتبار أن الداية مسنة ولا تقوى على مسك الفتاة بقوة إذ الأصل أن تعظ العروس والعريس وتبصرهما . . . وشيء آخر . . وهو أن الماشطة قد تنتظر منديل الفراش وتلوثه لتذهب به إلى أهلها زعما نه دليل عفتها . . وأنه قاطع للقيل والقال ، وكله جهل بحقيقة الحال . . . وثمة شيء أقبح وهو توكيل الزوج للماشطة أن تفض البكر بإصبعها)) انتهى نص ابن علوان .

في جميع الحالات يدخل العريس والعروس غالبا لى غرفة الدخلة ، بينما ترتفع في الخارج أصوات الدربكة والدف والمزهر والصنجات وصوت الغناء والزلاغيط ، حتى إذا بكت العروس أو صاحت خلال افتراع الزوج لها لايشعر أحد من المدعوين بذلك وحتى تقتنع العروس أن لافائدة من الصياح في هذا الجو الصاخب حيث لن يسمعها أحد . . . . وغالبا ما تكون أختها الصغيرة قد تركت شقا صغيرا بين طرف الشباك والستارة لتنظر ما يحدث بين العروس والعريس ، ومع ذلك فإنها لاتستطيع أن تفعل شيئا مهما صاحت أختها أو بكت . ويعتقد بعض الرجال أن خوف العروس بسبب عدم معرفتها أي شيء عن العملية الجنسية ليلة العرس ، أو أن والدتها لم تؤهلها لهذا الموقف

لاعتمادها على الداية أو الماشطة ، وبعض الرجال يجد لذة في اجبار الفتاة على الخضوع له عنوة وافتراعها بالعنف بدون رضاها ويعتبر ذلك دليل رجولة .

وفي كلا الحالات بعد أن ينجلي غبار المعركة وينتهي الزوج من إزالة عذرية الفتاة عروسه ، يقوم هو أو العروس بتلويث محرمة وغالبا ما تكون من الحرير بالدم الناتج عن ازالة البكارة ويدفع به إلى أم العروس حيث تقوم برفع المحرمة فوق رؤوس المدعوات مفتخرة بمحافظة ابنتها على شرفها . . . تقوم بالزلاغيط التي تشير إلى حسن تربيتها .

على أن بعض الرجال يترك إزالة البكار ة إلى ما بعد ليلة العرس حتى تستأنس الفتاة ويزول عنها الخجل فترضى بتسليم نفسها إلى عريسها والتمتع بعسالته . وغالبا ما يحدث إزالة البكارة بالقوة حالة من الكره وتتصور الزوجة أن زوجها يتصف بنوع من الوحشية والقسوة .

أما أم العريس فتوصي ابنها بالقسوة مع العروس وتقول له المثل المشهور ((إقطع راس القط من ليلة العرس)) لذلك يسعى العريس بتوجيه من أمه إلى إخافة العروس . فيضع مجموعة من الخناجر والسيوف والعصي والرماح في غرفة الدخلة لاخافة العروس . وبعض الأسر توصي أبناءها بضرب العروس برفق ليلة الدخلة في الغرفة رمزا لسيطرته عليها ، وذلك عملا بما ورد في القرآن الكريم عن أيوب عليه السلام وقد كان نبيا مرسلا ، إذ أمره الله بضرب امرأته بأمشاش والأمشاش عبارة عن قش المكنسة وهو ضرب لطيف رمزي لا فعلي . . . رمز سيطرة الزوج لا أكثر كما ذكر أكثر المفسرين . . .

في اليمن الجنوبي كانت العروس عندما تختاي بزوجها في غرفة الدخلة تجلس في زاوية الغرفة والخمار لازال على وجهها وتثني ركبتاها باتجاه بطنها ، ويجلس الرجل الزوج بعيدا عنها ويحمل قوسا ذو وتر قوي يركب عليه سهما من الخشب قد لف رأسه بقماش أبيض مع قليل من القطن ويرمي بهذا السهم على فرج العروس دون أن ترى حتى لاتخاف وعندما يسيل دم البكارة يقوم برفع الحجاب عن وجهها ويبتني بها . وعن هذا التقليد باعتبار أن أكثر أهل الشام من اليمانية القحطانيين أصبحت كلمة قوص من

القوس المستعمل ليلة العرس لها دلالتها في دمشق وتعني اتيان المرأة أو إزالة بكارتها ليلة العرس . **وهذه المعلومات نشرت مفصلة في المجلة الجغرافية الأمركية مع الصور .**

وعندما تدخل الفتاة غرفة الدخلة تقول إحدى النساء :

أوها زقزقت العصفورة

أوها جوات المقصورة

أوها شيل الله ياشيخنا

أوها يا قابل النذوره . لالالاليش

وتنادي أخرى :

في بيتنا رمانه

أوها حلوة ولفانه

أوها حلفت ما اقطفها

أوها ليطلع العريس بالسلامة .

و تقول أخرى من أهل العريس : أوها يا صحن تين

أوها ومجلل بالياسمين .

أوها عريسنا صغير

أوها وما طبق العشرين

وتقوم أم العريس بتأكيد كلامها فتنادي :

أوها ياما دبكوا برجليهم

أوها ياما تغامزوا بعينيهم

أوها وقالوا ما بيتزوز

تزوز وقلع عينيهم لالالاليش .

أما في الحالات العادية عندما تكون الفتاة ذات مدارك كبيرة فإنها تدخل الغرفة للخلوة مع عريسها وهي صامتة وتجلس مطرقة رأسها خجلا ونظرها إلى الأرض فيعمد العريس إلى إزاحة الغطاء عن وجهها ونزع التاج من على رأسها وكذلك أكليلها وهو عبارة عن قماش أبيض ملفوف ومثبت على شعرها حتى مؤخرة الرأس ثم ينسدل على

ظهرها للإخفاء شعرها وستره وهذذا يكثلر لدى ذوات الشعر الخفيف ، ويقدم لها بعض النقود والمجوهرات وتسمى حق الشعر .

ثم يتحدث معها ببعض النكات اللطيفة ، والأحاديث التي تشعرها بالاستئناس وبعد ذلك يقوم بإيقافها وهي بتوب العرس الذي له شاحط أي ذيل يمتد وراءها ويمسك به قبل الدخول إلى غرفة الدخلة إثنان من الأطفال الصغار صبي وبنت لم يتجاوزا السابعة من العمر . وهذا دلالة الطهر وهذه العادة تعود إاى ما قبل الإسلام حيث الأشبين والإشبينه عند الطائفة العيسوية . ويفرد الشاحط ويصلي ركعتين حمدا لله ابتهاجا إلى الله بتوفيقة في الزواج وإكمال نصف دينه . ومن هنا أتى المثل العامي فلانة طاهرة بيتصلى على ديالها .

بعد الصلاة يتأكدالعريس من إغلاق الباب تماما ويحادث عروسه ببعض الكلمات كما ورد في سيرة الصحابي عثمان بن عفان رضي الله عنه : عندما تزوج نائلة الوفية وهي من بني ضمضم من كنانة كلب التي تضم أشهر فرسان العرب ومنهم أسامة ابن زيد الكلبي بطل معركة اليرموك ، وأسامة ابن منقذ الكلبي بطل الحروب الصليبية . وقد كان الحديث كالتالي كما ورد في في كتاب تاريخ الأمم والملوك : عندما دخلت نائلة الوفية على عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قعد على سرير وألقى لها سريرا جلست عليه ، ورفع العمامة عن رأسه فبدا الصلع فقال :

ياابنة الفرافصة لايهولنك ما ترين من الصلع فإن وراءه ما تحبين .

قالت : إني من نسوة أحب بعولتهن اليهن الكهول السادة .

فقال : إما أن تقومي إلي وإما أناقوم إليك .

فقالت : ما تجشمت من كراهة جنبات السماوة أبعد ما بيني وبينك ، ثم قامت إليه فجلست إلى جانبه فمسح أسها ودعا لها بالبركة وقال :

إطرحي عنك خمارك فطرحته .

ثم قال : إخلعي درعك فخلعته .

ثم قال حلي إزارك فقالت ذاك لك فحله . انتهى النص .

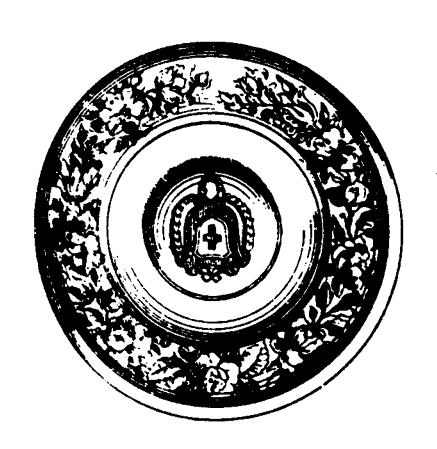
لأن العادة جرت أن يفك الرجل عقدة السروال ليلة العرس . وكانت بعض النساء كما ذكر ابن علوان في النص الملحق في هذا البحث أن يعقدن عدة عقد في تكة سروالهن ليتعذب العريس بفك العقد ، ومن هنا جاء المثل عقدتها عسرة ، حيث يقضي الرجل الوقت الطويل في فكها وهي تضحك فيس سريرتها . والعقدة العسرة دلالة على أن الزوجة لاتحب زوجها أو لاتميل اليه ، أما إذا كانت تميل اليه فيقال عقدتها يسرة أي لا تعقدها عدة عقد ،

ما الفتيلة الطويلة ، فإن المرأة كانت تطيل فتيلة السراج ، فعندما يكون الزوج متشوقا إلى الوصول إلى زوجه ليلة الدخلة ، ويدخل معها إلى الغرفة ينتظر حتى يطفأ السراج خوفا مت رؤية بعض المتلصلصين لهم فينتطر حتى تبلى فتيلة السراج ويجف زيته ، فإذا كانت الفتيلة طويلة والزيت كثير فإنه سينتظر كثيرا وهذا العمل دلالته عدم محبة الزوجة وميلها إلى عريسها أما الفتاة التي تميل إلى عريسها فإنها تقلل الزيت في السراج ، حتى يسرع في تضاؤل نوره وخفوته فيطفأ السراج ويلتقي مع عروسه بعد أن يفك عقدتها السهلة .

في نهاية الليل مع إعلان المؤذن نداءه لصلاة الصبح تأتي أم العريس لتوقظ العروس لتسخين الماء ليستطيع العريس القيام بإزالة الجنابة الناتجة عن نومه مع عروسه ، فتستيقظ العروس وتذهب إلى الحمام وتوقد مرجل تسخين المياه باشعال الحطب أو تقوم باشعال بابور الكاز ووضع تنكة من الماء فوقه وعندما تسخن المياه يقوم الزوج بالإغتسال من الجنابه ثم يذهب مع والده لصلاة الصبح ،وخلال غيابه في الجامع تغير العروس ملابسها وتغسل جنابتها وتلبس بعض الملابس التي تبرز محاسنها لتستقبل عريسها عند عودته مع والده . أما أم العريس فتسأل ابنها عند عودته عن الحال وتكون قد أعدت له طعام الصباح ويتألف من الزبده والعسل مع قليل من الجبن والبيض .

عند الإنتهاء من تناول الفطور يخرج العريس مع والده إلى السوق ويتسوق بعض الحاجيات النسائية من جوارب ومحارم وعطور وأشباهها ويعود بها إلى البيت ويضعها في قطهة صغيرة من القماش تسمى الصرة ، ويسلمها إلى العروس مع قطعة من المجوهرات

أوسوارة من الذهب ، . وتسمى هذه الهدية الصباحية صبحية .وتوضع بجانب الفراش في غرفة العريس وسادة كبيرة محشوة بالقطن تصف عليها القطع الذهبية والفضية والمجوهرات وغيرها من الهدايا لتعرض أمام المباركين حيث الأيام الثلاثة الأول لمباركة الرجال وتليها في اليوم الخامس مباركة النساء .



الفصل العشرون

نص ابن علوان الحموي الدمشقي

ورد في كتاب نسمات الأسحار في نبذ من

كرامات الأولياء والأخيار ، لمؤلفه عطية بن حسن الملقب بعلوان الحموي ثم الدمسقي ، وصف للأعراس التي كانت تجري في دمشق في القرن العاشر الهجري ، رأينا اثباته مقلا عن كتاب خزائن الكتب في دمشق وضواحيها قال :

إن أقبح البدع ما حدث في بلادنا في الأعراس ، وذلك أن الشيطان لعنه الله لما كان جالسا على السراط المستقيم ، والتكاح منه . فن من محاسن سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، أدخل على من أراده ، أمورا فظيعة ، وأحوالا شنيعة ، لابأس بذكر بعضها ، تذكرة للعالم ، وتبصرة للجاهل ، فأولها أن النبي ﷺ قال : ((عليك بذات الدين تربت يداك)) وورد عنه صلى الله عليه ةسلم قال :((إياكم وخضراء الدمن)) قيل من هي يارسول لله : قال المرأة الحسناء في منبت السوء .

فإذا أراد إنسان نكاحا لامرأة لايسأل عن دينها ولا عن نسبها ، وإنما يسأل عن جمالها وجهازها وهل معها قماش كثير وجهاز ثقيل ، والحامل على هذا التساعل في الدين . فإذا ذكرت له امرأةمتجهزة كثيرة المال ، أرسل إليها ، وأقبل بكليته عليها ، والحال أنها مغتابة نمامة كذابة تاركة للصلاة ، سيئة الخلق . وهذا فعل هو في غاية الحمق ، فإن نفس الفاسق سم قاتل .وقد يرسل بعض الناس لحما وطعاما على رأس الحمال مكشوفا . رياء وسمعة ليقال هذا عشاء فلان . ثم يوجه اليهم جماعة من الأغنياء ورؤوس الحارات الأغبياء ولا يلتفت إلى المسكين الفقير ، فإذا جرى العقد أبى أهلها أن يكتبوا ذلك إلا على حرير نحو ذراع أو أكثر اسرافا وتبذيرا ، فذا قرب الدخول وحان الوصول ، إجتمع أهل محلة الزوج كبيرهم وصغيرهم ، وصحبوا معهم البغال ، وأكثروا منالصخب

والجدال ، توجهوا إلى محلة الزوجة ل جهازها فيتلقاهم أهل تلك المحلة بالمدافعة **والمشاقة والممانعة ، وطلبوا منهم رؤوسا عديدة من الغنم ، وقالةا إن لم تأتوا بها لاتطيقون** أخذ ما حئتم بصدده . فيقولون لهم إذا كان الأمر كذلك فقوموا بواجب حقنا عليكم في المآكل الكثيرة فبذهب كل فاسق منهم إلى بيته ، وينهر زوجته ، ويأمرها بالقيام إلى تحصيل الضيافة والطعام ، فيلعنها ويلعن أباها وإخوتها ، وفي الحقيقة ما لعن إلا نفسه . وربما يكون الإنسان منهم فقيرا لايملك قوت ليلة و عنده ما يكفي أولاده فيتركهم يتضاعون من الجوع . ويحمل قوتهم في طاعة الشيطان . وربما يصنعبيضا ولحما ، وأولاده الصغار يبكون مع أمهم فلا يدفع اليهم مايهجعهم ، ويقول يبقى المقلى ، يعني الإناء الذي يقلي فيه ناقصا ، هذا عيب وفضيحة . فإذا أكلوا السحت أخذوا في الأفك واللف والمداهنه والكذب هذا وأهل الزوجة قد وضعوا الأثاث في الأطباق ونشروا المتاع على الدواب ، ورفعوا الحلي على رؤوس الحمالين ، وفرحوا بما يجب الحزن عليه ، وانتشر النساء والرجال مختلطين في الأسواق والأزقة رافعينالأصوات بالزغاليط ، قاصدين المفاخرة ، والمكاثرة ، فإذا كان ليلة الدخول وقعوا في أمور منها الإيلام بالبدعت والرياء والسمعة ، وذلك أن بعضهم ربما يكون فقيرا فيتدين ويتكلف فوق طاقته ، قاصدين بذلك تكثير الطعام أو تحسينه لئلا يعاب عليه بتقصيره عن القدر الذي أولم به جاره . ثم يشرع في دعوة الغني والوجيه ، ويغفل عن الأرملة والفقير ةالمسكين واليتيم ، أو يكلهم على لحس الأواني ولقط ما انتشر .

وبعض الناس يدعون أكابرالعلماء وأعيان الناس والأمراء ويحييهم فلا يطيقون التخلف عن الإجابة لوجوبها ، وقصده مفاخرة جيرانه ومباهاتهم ، فيقول كان عندي الشيخ الفلاني ، والأمير الفلاني ، والكبير الفلاني ، وهذا رياء مذموم ، وبعضهم قد اتخذ سنة قبيحة وفعلة شنيعة ، فيعزم جماعة مستكثر ، فإذا أكلوا حبسهم لغرامة أضعاف ثمن ماأكلوه ، ويقول لبعض أصحابه ، ناد بالشاباش يافلان ، هذا وجماعة من الناس يستمعون ،عافانا الله من نزعات الشيطان . فهناك تقع المفاخرة والمغايرة بين الأقرؤان ، ويستحوز عليهم الشيطان ، ويحصل لهم العجب يفعلهم الخبيث ، فينفقون أموالهم رياء وسمعة في سبيل ابليس وجنوده ، فإذا انقضت الوليمة توجهوا لى الحمام ،

وقد صحبوا معهم شمعا مستكثرا ، فإذا خرجوا ، وقعدوا بين يدي العريس ، متشبهين بالمجوس في إظهار شعار النار على أنه يكفيهم مصباحان أو ثلاثة ، ثم يهللوا تهليلا باللهو واللعب والغفلة ، وتحطيط حروف الهيلا وإخراجها عن محلها كما يفعل بين يدي بعض الفقهاء ، عند ختم مجالسهم التهارري كما شاهدته ، وفعلنه . أسأل الله التوبة والمغفرة ، فإن مما أظهر فقهاء الومان في البدع ، أنهم إذا ختم أحد منهم مجلس قراءاته ، أفرغت عليه خلعة ثمينة عارية ، رهنا على ما تأخر له عند صاحب القراءة من الدراهم ، ورياء ومنافسة جالبة للمآتم ، فيالها من فعلة ما أشنعها ، ومصيبة ما أفطعها ، إذ نقل الغزالي وابن الجوزي ، ما حاصله أنه إذا كان الواعظ شابا يحضر مجلسه النساء ، فيتزين في ثيابه وهيئاته ، ويكثر الأشعار والإشارات والحركات ، فهو منكر يجب المنع منه .
والواقع ن الواعظ إذا كان متزينا أوقع من حضر مجلسه من النساء في ورطات منها الإفتتان به ، ومنها حسد زوجته ، فمن لم يكن زوجها فقيها إذا رأت الفقيه ، وحسن بزته ، قالت هنيئا لزوجه هذا ، ليتني كنت مكانه ، وهذا حسد ومن السخط على الله تعالى فإنه يحضر المجلس من زوجها فقير جدا ، ليس له إلا عباءة أو ما في معناه ، فإن رأت الواعظ في العمامة الحسنة ، والثياب الجميلة قالت : يارب أنا آدميو وزوجة هذا آدمية ، يارب أنا زوجي في تلك الحال ، وزوجها في هذا الحال . أما كنت أنصفت وهذا حرام ، ربما يقضي إلى الكفر ، بقليل والموقع في هذه الورطات كلها هذا الواعظ الشيطان . فإذا نزل من مجلسه مشى بين يديه وخلفه جماعة كثيرة رجالا ونساءا مختلطين ، وربما رفع النساء أصواتهم بالزغاليط ،فيعجبوا حينئذ في نفسه ويتبختر في مشيه وينظر في عطفه تيها وعجبا وزهوا . وقد اتخذ دين الله لهوا . فإذا رأى العامي هذا الفقيه الأحمق يهلل بين يديه ويزلغط خلفه كيف يكون حاله وبالجملة إيقاد الشمع اسراف لم يكن في عهد ﷺ ولم ينقل عن أحد من الصحابة .

ثم المصيبة العظمى ، والداهية الدهياء أن نساء المحلة وغيرها يجتمعن في دار ه في الثياب والزينة والخضاب والتحلي بالذهب بين أيديهم الشموع موقدة والوجوه بادية والزينة ظاهرة ، لاحجاب ولاجلباب ، فيدخل الزوج للجلا بل للعمى والظلام ،

فيتلقينه بالشمع والزغاليط وهن سافرات عن وجوههن ، مبديات لزينتهن ، فتعضضده امرأتان من أقاربه واحدة عن يمينه ، وواحدة عن شماله فيدخل معهن على النساء الأجانب ، وبما يدخل معه شبانا بالغين من الأقارب كأخيه البالغ أو ما في معناه . وهناك يجلس على مكان رفيع فتتقدم كل امرأة اليه وتلصق الدراهم بين عينيه ، ورائحة الطيب منها فائحة ، عينها محدقة اليه لامحة ، وزينتها بادية لائحة ، فإن كان ممن يزعم أنه متدين غض بصره ، وإلا فتح عينيه وأرسل نظره . ثم تخرج العروس الملعونه هي وما شطتها الشريكة في اللعن ، في شيء يقال له الشابوش والذي يظهرلي والعلم عند الله تعالى أنه ما في معناه . إما ظهر في زماننا ما يلبسه النساء على رؤوسهن يسمونه المقنزع كما تنبأ صلى الله عليه وسلم بوقوعه ، وأخرجه مسلم رحمه الله في صحيحه .

قال صلى الله عليه ةسلم : صنفان من أهل النار لم أر هما ، فقوم من سياط كذناب البقر يضربون يها الناس ، ونساء كاسيات عاريات جميلات مائلات رؤوسهن كأسمة البخت لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجد في مسيرة كذا وكذا . . . .

رجعنا إلى ما كنا بصدده ، فإذذا خرجت وامتلئت وامتثلت بين يدي الزوج وقام وكشف لها شيئا يقال له الجلايه عن وجهها ، وأخذت تتمقصف متتكسر في حركتها وتتفتل ، وكلما دارت مرة لصق الزوج ومن معه كأخيه البالغ والمراهق اللذين يحرم عليهما النظر اليها في حال المهنة والرثاثة ، فضلا عن الزينة والنضارة ، الدرهم في جبهنها وعلى خديها . . . . ثم تذهب الماشطة إلى بيت وتخلع عنها تلك الهيئة ، وتفرغ عليها ثيابا عير تلك الثياب ، وتلبسها عمامة كعمامة القاضيوالفقيه والجندي وتمسك سيفا مسلولا معها فتأتيي إلى الزوج فيأخذ السيف ويضربها ببطنه على رأسها ثلاث ضربات ، وأعظم من هذا أنه إذا دخل البيت قامت أم الزوجة ففشخت رجليها مع صدعي الباب أي عضادتيه ولا تمكن الزوجين من الدخول إلا بعد انحنائهما من تحت رجليها ، فإذا استقر في البيت تطلع النساء الأجانب عليهما من الكوات وجلسن يرقبن أحوالها إلى الصبح ، فإنه لم يسمع لهما صوت طرقن الباب عليهما وحركن عزمهن هذا وقد علمن الزوجة الممانعة وحلرضنها على عدم المضاجعة وألبسنها سروالا عقدن عليه كذا وكذا عقدة ، وماذا عسي أن أصف في الأحوال الخبيثة الشنيعة المباينه للدين والشريعة ،

والعجب كل العجبب في بعض العلماء كيق ييعلم هذه الأمور ولا ينأها بل ربما يبعث زوجته لحضور هذا المجلس الأثيم ، وبعض الناس يقدم بدعة قبيحة جدا ويضع لعروسه مرسحا وفيه منكرات كثيرة في إضاعة الأموال ، فإنه يحتاج فيه إلى يذل مال كثير في شراء الزيت وإجرة المغني ، وينفق في اختلاط الرجال بالنساء وسماع الدف المصنج والغناء والفحش والبذاءة وكثرة الضحك وترك الصلوات والاستهزاء بالدين ، والتمسخر الزائد بمحاكاة كلام العلماء والخطباء وكشف العورة وأشياء نسأل الله العافية منها ،

استهزأ بالدين وأهله كقر . . . وأنواع الكفر كثيرة لا تكاد تحصرواختلفوا أيضا فيما لو حضر جماعة ، وجلس أحدهم على مرنفع تشيها بالمذكِر أو العالم أو القاضي . وسألوه المسائل وضحكوا . وضربوا بالمخراق . قال بعضهم — يكفروا . وكذا لو تشبه بالمعلم ، وأخذ خشبة ، وجلس القوم حوله كالصبيان وضخكوا واسنهزءوا به . وهاتان المسئلتان ونظائرهما بتفقان في المراسح كثيرا ،وفي هذا القدر كفاية .

(*)من كتبه نسمات الأسحار في كرامات الأولياء والأخيار ومنه اخترنا هذا الفصل .
وبيان المعاني قي شرح قصيدة الشيباني . والجوهر المحبوك في نظم السلوك . ورد ذكره في :ومرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح .
والفيض الهنان في شرح أبيات الشيخ علوان . لنجم الدين الغزي الدمشقي . وهو من رجال القرن العاشر الهجري . ورد ذكره في الكواكب السائرة في أعيان المئة العاشرة لمجم الدين الغزي وكذلك في خلاسة الأثر :في تراجم أهل القرن الحادي عشر للمحبي .

الفصل الواحد والعشرون

أغان الأفراح في مناسبات الخطبة والزواج

تنقسم الأغاني الشعبية وأغان المناسبات في بلاد الشام لى الأقسام التالية :

١ – الموّال : وهو المغنى الأساسي في الريف في بلادنا وبه يعبر أكثر الناس عن مكنونات نفوسهم ويغنى في مناسبات المديح وحتى في الأفراح القومية ويتأثر به العامة كثيرا ويثير حفيظة نفوسهم . ويستعمل للمدح والذم والنقد والغزل . وينقسم الموال إلى جبلي ومصري وابراهيمي . والموال بشكل عام هووليد الشعر الحميني اليمني الأصل الأساسي للموشح الأندلسي ، هذا إذا لم يكن الموال ذو الأصل الحميني الأساس في الموشح الأندلسي والموال السوري معا . فالموال المصري صغير المقاطع مثل الموال الذي يغنيه فريد الأطرش أكل البلح حلو . ويقف المغني فيه على مقاطع مقفلة بدون تمديد لحركة الحرف الأخير من الكلمة كما في نهاية الشطر الزجلي إلا لوصله بالمقطع الآخر من الزجل . أما الأبراهيمي فطويل المقاطع ويحتاج إلى نفس طويل لطول الجملة الموسيقية فيه . أما الموال الجبلي فهو أطول في جمله من المصري والإبراهيمي وقد قام الموسيقيون في لبنان بتقطيع الموال الجبلي إلى جمل موسيقية قصيرة مع المحافظة على وحدة الأداء والنغمة كما في أغان المطربة صباح والمطرب فؤيد الأطرش .

٢ – الميجانا والعتابا : العتابا هي عتاب المحبين وبث دواخل نفوسهم ، وهي تقطيع للموال السوري بأنغتم مختلفة والميج هو الميلان أي التقلب بالأهةاء من ماج يموج ميجا ومنه الميجنا . وهذا النوع من الغناء مشهور في لبنان وفلسطين وسورية والأردن .

٣ – الزجل : زهو مجزوء من الشعر مغنى ، والزجل هو الأصل الثاني للموشحات الأندلسية إضافة للشعر الحميني . والزجل يقوم في لبنان وسوريا وباقي بلاد الشام على شكل مساجلات شعرية هي بقايا المساجلات الشعرية التي كانت قديمل تقوم في اسواق

الجاهلية القديمة . ويصاحب عناء الزجل عادة الدف والطارة والمزهر . . . وأكثر ما تقوم **المساجلات الشعرية في جبال لبنان . ويصاحبها أحيانا شرب المواد الكحولية العرق) في** جبال لبنان وعود كرر أن هذا مكروه ونهى الإسلام عنه .

٤ — الدور : وهو نوع من الغناء يكون فيه وصلة زجلية ذات لحن معين تتردد بين كل مقطع وآخر وتغنى الأدوار في الألعاب مثل : حكم علي سيدنا اشيخ . . . أو في الأغاني الشعبية مثل طالعة من بيت أبوها الخ .... أو في العلراضات والأفراح .

٥ — الأغاني الخاصة بالدبكة وهي أغان ريفية ذات ايقاع عالي يرافقها دوما الطبل وهذا النوع من الغناء ريفي على الأغلب .

٦ —الطقطوقة : وهي الأغنيةى الصغيرة ذات الحن الراقص ولحنها سريع وحركب لتجري عليها الرقصات القصيرة وتعود ءلى العصر العباسي وكانت تنشدها الجواري خاصة .

٧ — الأغنية القصيدة : وهي حديثة وتسمى أحبانا الأغنية الطويلة مثل أعان أم كلثوم ومنيرة المهدية وغيرها وهذه الأغان كانت تغنى بين مصر وسورية في العهد العثماني بسرعة ةبسبب هذه الأغانب ضعفت الأغنية الطقطوقة ، لإن هذه الأغاني تملأوقتا كبيرا من سهرات الأفراخ وسهرات الملاهي .

٨— الهوبرة : وهي مجموعة من الكلمات الزجلية تقال في حفلات الكتاب والأعراس والولادة والطهور والعودة من الحج يقال لفلان هوبرلو مثل عريس الزين يتهنا واطلب علينا واتهنى

٩ — الشابوش من الشيب وهو الكبر في السن ، والمقصود هنا الإكبار والتعظيم أي إكبار الشخص المقام له الشابوش . يقال شابوش ياهو . . . النداء بالتعظيم والتكبير لهذا الشخص يقال مثلا :

كانت الراية . . راية أبو فلان راية أهل العريس . .طيب الله وشو . . . ما شاء الله . . (١)

وتعتبر الزجليات : شن كليلة شن كليلة . . شو هالليلة . . . الله يعينه على هالليلة ، من الشوباش وهو نوع من الغناء التشجيعي .

زمن الشوباش أيضا والتي يقوم بها الأولاد خلال أفراح العيد

ياأولاد محارب جوجو

شدوا القوالب جوجو

ومن الشوباش أيضا ما يقال في حفلات ختمة الأولاد للقرآن الكريم في الكتاب حيث يردد الأولاد :

بدنا رز بحليب .. مهلبية ....وقد ورد ما يماثلها في أغان فيروز عند طلب التبولة :بدنا نعنع بدنا ليمون الخ .....

منذ الصغر جرت العادة في بلاد الشام أن تكون الألعاب الغنائية دافعا للفتى والفتاة نحو تأسيس عائلة والزواج أي ما يسمى بلعبة العريس والعروس ، حيث تشوق الأم أولادها نحو هذا الواجب الاجتماعي والأخلاقي . فإذا قام الطفل بأي عمل جيد تقول له أمه أحسنت ياعريس ... ومن هذه الأغاني أغنية صبحكن بالخير ، وتقضي هذه اللعبة بأن يصطف الأولاد صفا واحدا وينقسمون إلى مجموعتين تقف كل مجموعة أمام الأخرى وهي أشبه بمنظر المشتركين ببعض أنواع من الدبكة ويتقدم الصف الأول إلى الأمام ويقول :

صبحكن بالخير يا عمار العمار

وبجيب الصف الثاني : مسيكم بالخير يا عمار العمار

ويستمر اللعب : ما بتعطونا بنتكم يا عمار العمار

والأجابة : مابنعطيكم ياها إلا بألف وميه

حتى تحطوا نقدها جوات الصينية

الرد : منزل على درعا ومنكسر أبوابها

ومن جامع توابا عروستنا هي ...ويقوم الصف بخطف أحدى البنات من الصف الآخر ويبدأ الضحك لتعود اللعبة من جديد والخطف من جديد وهكذا تستمر اللعبة

اللعبة الثانية تشير إلى خطف العروس وتسمى لعبة الشوحة :

حيث تقول إحدى الفتيان :

(١)شرح المستشرق دوزي في ذيل المعاجم العربية بأنها كلمة فارسية للتحبب أو الثناء أما أهالي دمشق فيقولون شوباش واستعمال الواو بدلا من الألف هو من الهجة المدينية الجذامية القديمة مما يدل أنها من اللغة العربية القديمة . فأهل دمشق يقولون حلو وليس كأهل حلب حلي أو كأهل الساحل حلا ...وكذلك شاباش في الشمال وشوباش في الجنوب وهكذا .

أما الشوحة الخطافة . فتجيب فتات من الصف :

أنا أمهم بلمهن

ماباخد إلا المدلل

مابعطيك إلا الشيطان

باخدن غصب عنهم

باخده وبحرق قلبو

وخلي المدلل لأمو

ومن أغان منطقة الشاعور عندما بعشق فتى فتاة من غير ديانته كان يغني على القرب من حائط الجيران :

حنينه جننتيني لاحبك وابقى على ديني

بكفي بسمع صوتك من وراء الحيط يهنيني

ويتغنى اهالي دمشق ببلدهم وهو نوع من الغزل والروح الوطنية

على دلعونا على دلعونا ارقصي يا حلوة ورقصينا

يحرق العرق ويلعن أصوله كل واحد شامي يسوا مليونا .

وتغني البنات لتشير وتنبه أهلها أنها أصبحت على أهبة الزواج وانا تجاوزت مرحلة الطفولة دسوني ولا تنسوني واحسبوني من العيلة

وان نسيتوني باشنق حالي احسبوني حمصة بكيلة

وعندما بكبر الفتى ويركب حمار أبيه وخاصة إذا كان من الأغنياء يهوير له الشباب

حمارك مبارك تعيش وتركبو

وعندما يسافر الشاب تغني له الفتاة العاشقة :

حماده ياحمادة سافر بلا زواده

وذلك بقصد افهامه أنه سافر قبل أن يتزوج أي نه صار كبيرا وعليه أن يفكر بالزواج ، وحمادة تشير إلى الرجل الكلبي والكلبيون وخاصة آل حمادة هم زعماء الكلبيين في بلاد الشام وعز سورية لانهم هم الدولة الأموية وكانو زعماء البقاع بقاع كلب قبل الحرافشة في بعلبك وسائر سورية وكان الكلبي يسافر في سورية بلا زواده لأن الكلبيين زعماء

سورية منتشرون في دمشع وحمص وحماه وبعلبك وحلب واللذقية ومرعش ومرسين . . . . . .

ولا يزال الشباب (الزكرتية) وتعني الأعزب الشجاع المتصف بالفروسية ، وهو الشاب الذي يرشح نفسه للزواج من أجمل بنات الحارة ويحاول أن يبرز فروسيته وتفوقه في البطولة على أقرانه أي (راعي المهرة) وهو التعبير العامي عن التفوق بالفروسية والشجاعة . أقول لايزال الشباب ينادون عند سماع الموال الخاص بالمحبين بكلمة حكم ، ومعناه الله حكم إشارة إلى أنه مؤمن بما قدره الله عليه من الحب والعشق . زوهو من جملة الإيمان بالقدر إحدى قاعد الإيمان الرئيسية عند المسلمين . ومن الأغاني المشهورة المرجيحة والمرجيحة كانت في العصر الماضي أساسية في الاحتفال بالأعياد والمناسبات العامة حيث يتجمع الشباب والفتيات في الحدائق والجناين للدبكة والغناء والرقص ويهوبروا : ياسمين الجناين ، تضرب ، تضرب ينزل عليك الدم لكل من يحاول أن يثبت فروسيته وأنه راعي المهرة ويجب أن يحصل على رضا أجمل اقنيات ويتزوجها .أما أغنية امرحوحة :

دق امرجيحة ومرجحنا   خي ادنيا تفرحنا
دق امرجيحة وَحركنا   حبيب اقب يقرحنا
عيونه سود تحركنا   كل نظرة بأف دينار
مرجيحتك حوة وتعجبنا   واناس تدعى بفرحتنا
زي ادنيا بتتعبنا   أيام جنة وأيام نار

وتغني البنت من وراء الجدران بين البيوت أو بين الغرف :

يامو : أنا جوعانه   بدي عريس يدللني
يامو : أنا بردانه   بدي عريس يدفيني
يامو : أنا ضعفانه   بدي حكيم يداويني
دواه ما بينفع   لحبيب يكفيني
الرجال رحمة   ولو جاب فحمة

وعندما يمر شاب في الحارة وتكون البنت ترصد الزقاق من وراء الخص تغني القتاة الأغنية الشهيرة :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

وتغني البنات بالسهرات :

جانم جانم بالتركي
أبو أسعد ناطركي
والوالي قدامك شايل بقجة حمامك
حمامك بالتيروزي وخامك سته سبعة

وفي هذه الأغنية استهزاء بالوالي التركي والفخر بشباب باب سريجة في دمشق بفروسيتهم وتفوقهم على الترك لأنهم خلال الحروب الصليبية لم يتركوا منازلهم ودافعوا عنها برجولتهم وفروسيتهم ، فلماذا يخافون الوالي التركي . وهم من حميريي اليمن واقرباء القبيلتين المشهزرتين الكبيرتين في اليمن إلى الآن : حاشد وبكيل ، والتيروزي حمام في حي باب سريجة باب ، ويفتخر كانه بأرومتهم العربية ويهزأون بالوالي التركي وأنه من خدامهم يحمل البقجة للحوة إلى الحمام ، وأبو عد هو كناية عن الأم لصاحب السعد أو الحظ االسعيد راعي المهرة خطيب البنت العربية التي تتفوق على الهانم التركية .

ومن الأغاني التي تغنى في الحارات التي يسكنها الكلبيون مثل حارة البعلبكية في الصالحية ياهويدك . . .

ياهويدلك ياهويدلي نارك ولا جنة أبي

وهذه الاغنية من التراث اليماني البعلبكي الكلبَي وتغنيها المطربة صباح .

وعند العرس تغني أم العروس الأغنية المشهورة التي تشير إلى رفعة العروس وأهلها :

وتومي له من علو

فتغني أم العريس الأغنية المشهورة إشاة إلى القرابة بين العروسين وما في حدا أحسن من حدا ، ويلى متلنا تعو لعنا :

قومي انزلي ياحلوة

عايزين عروسة عريبة

عايزين عروسة من ولد عمي

عروسة من لحمي ودمي

وتغنسي الفتاة أمام رفيقاتها وتسمع أباها :

عالسوق . . عالسوق تسوقلي

جبلي بدلة تلبقلي

البسها بيتزفزق لي

واشلحها يطير عقلو

حبيبي ——— عريسي . . .

وخلال الخطبة إذا غالى أهل العروس بالمهر ، تغني أم العريس :

خـالي يـا خـالي عـلى البيت يا خـالي

المنزل العالي مهرو عالي

وعندما تعود إلى البيت تقول لابنها : قال بدهم كذا من الذهب والله شايفين حالهم ببنتهم يرحو حدا بجيب لبيته : جراب الهم . . وقفة الزعل . . وقفورة النكد . . وسحارة الغضب . . وخرج المجادلة .

ومن الزلاغيط : وبها يفتخر سكان باب سريجة بأصولهم :

أوها : زواجه من باب سريجة

أوها : زواجه من الشام

أوها : ومدندشه بالذهب

أوها : ومجمعة الأحباب . لالالاليش

وعندما يضع العريس مطيف الألماس على صدر حبيبته وزوجته ليلة الدخلة تغني بعض المدعوات جماعة :

يلبقلك شك الألماس آه يا عيني

والأغنية مشهورة تغنيها فيروز

ومن الزلاغيط :
أوها ياجمال أبو علي
أوها صلوا على النبي
أوها وابني قدامكم
أوها يسعد حالنا وحالكم . لالالالا ليش .
أوها ان كان مافي ورق
أوها لاكتب على جناح الطير
أوها إن كان ما في حبر
أوها لاكتب بدموع العين
ومن الزلاغيط لابو اعريس :
أوها يابو عريسنا اله يعلي راياتك
أوها وسبع نوبات تضرب بسراياتك .
أوها وسبع سواقي ذهب تسقي جنيناتك .
وسبع كناين بتحلف عمو وحياتك لآلآلآأليش

ولما فرضت تلركيا الخدمة الإجبارية على الشعب العربي في سوريا درجت الأغنية المشهزرة خلال الاحتفالات :

خبز وبصل وحرية ولا سمن وعسل وجبرية .

ومن الأغاني المشهورة التي ترددها البنات كثيرا وخاصة العازبات خلال الأفراح أغنية بابا جوزني :

حرام عليك : بابا جوزني
صرت كبيرة : بابا جوزني
حلوة واميرة : باتبا جوزني
سبقوني البنات : بابا جوزني

ومن الأغاني القديمة حكم عليّ سيدنا الشيخ : وتغنى في السهرات والرحلات والسيارين الخ . .

قومي ارقصي ما برقص

قومي ارقصي ما برقص

حكم علي سيدنا الشيخ : رقصت له وأنا أغني .

ثم يعود الجمهور وينادي قممي اضحكي وتنادي ما بضحك وفي الأخير حكم علي سيدنا الشيخ ضحكتله غصب عني . ويعود الجمهور ويردد : فومي غني --قومي اشلحي -- قومي اشربي -- قومي كلي -- قومي ازحفي -- قومي ادبكي

زغرودة وصول العريس إلى بيت العرس عند التلبيسة :

أوها ياعريسنا فوت وارفع أذيال الكبوت

أوها وقبل أياديهن وقلهم ياشباب بلا مطرود

أوها زرعنا الإمامة وطلعت على الأرض قامة

أوها وصلتولنا عريسنا الله يعطيكم العافية

أوها وتفضلوا يا أهلا وسهلا بالسلامة

لالالالاليش

وخلال تلبيس العريس ينادي الشباب والنساء في البيت :

الدار ما هي لنا الدار ليلي بناها

الدار لأبو فلان يلي بسيفو حماها

لالالاليش

وخلال التلبيسة أيضا :

أوها أربع حمامات تحت بيت العريش

أوها وأربع شباب عما يلبسوا العريس

أوهالاطلع على الجبل العالي وحل الكيس

وعند وصول العريس تنادي أمه :

أوها وميت السلامة فيكم

أوها وقلبي ما بيتهنى إلا فيكم ،

أوها وعمره ما يغرقلكم مركب
أوها ولا يشمت حدا فيكم
لالالالاليش
أوها هاها ياابني ليك وبيك
أوها والبدر أقبل عليك
أوها ياصدرها بلور أبيض
أوها ياابني مباركة عليك
لالالالاليش
أوها حسن تلاقي حسن أي قمر أحسن
أوها قمر تلاقي قمر أي قمر أحسن
أوها فتشت بديرتي ما لقيت أحسن
أوها والصلاة على النبي والفاتحة أحسن
لالالاليش
أوها وميت السلامة
أوها بالعيون الكحلا
أوها والفرح بدياركم
أوها عمره ما بيخلا
لالالاليش

وإذا كان أهل العريس أغنياء وأهل العروس من الطبقة الوسطى تزلغط أم العريس :

أوها دوس ياعريسنا دوس
وها تحت اجرك ذهب مكدوس
أوها من دخلتك على السرايا
أوها تفك ألف محبوس

وتزلغط أم العروس متغزلة بالعريس :

أوها عيونك السود خلوني أنا أغني

أوها عيونك السود نسوني أبي وأمي
أوها وكنت نايم بعز النوم متهني
أوها إجا خيالك على عيني وجنني .
وترد أم العريس :
أوها بتسوى ألف ومية
أوها وعيونا سود مكحولة
أوها وأبوكي شب وغاوي
أوها وانتي لسى خجولة .
فترد عليها صديقات العروس :

آه يا سمر اللون حبيبى اسمرانى
والـله مـا حـاكـيـتـه بـالـدرب تـبـلاني
وأيضا الأغنية المشهورة :
يـاشلون حـالي يـاشلون هـالأسمـر خـلاني دوم
وأيضا اغنية
حالي حال بالي بالي بال
حالي بالي هالأسمر شاغلي بالي ويقصد بالإغنية قلعة غالي بولي أي شنا قلعة رمز انتصار عرب سوريا على الإنكليز والفرنسيين في الحرب العالمية الأولى وإبادتهم نصف مليون جندي من هولاء المستعمرين الأوباش في حرب المضائق عام ١٩١٤ م .
ومن الأغاني أيضا :

قومى العبي لالعبلك كل اذهب يلبقلك
قـومـي العـبي لألـعـبـلك وكـاس المـدام لاسكبلك
ويـلي يخـرب لـعـبـتـنـا أمـو تـنـتـف شعـرتـنـا
ومن الأغاني أيضا وهي جزء من لعبة بدوية :
ياجمال البوبعة شـو تعشـيتـو مـبـارحـة
خبزة وجبنه مالحة

وكان سكان الشام يرددون على خاير بك الذي خان السلطان قانصوه الغوري عام ١٥١٦ م وأتى بالسلطان سليم :

ياجردون صلي صلي جبتلنا العثملي

وانتشرت في القرن الماضي بعض الأغاني المصرية وخاصة بعد حكم محمد علي مثل أغنية جوز الحمام وكانت بنات مكنو تغنيها في حديقة أم الخمسة كما تذكر جدتي : الأغنية والأغنية الثانية وقد غنتها فيروز المطربة اللبنانية الشهيرة مع تغيير في الكلمات وهى :

مذهب : جـــوز الحمـــــام بـــنـي مــــين يشتريـك مــنـي
مـــــــــين يشتـريـــك يــا حمـــــام منـــــي

دور : أساورك يا للي . انت لابســـــاهم دول بتوعك. والا انت شاحداهم
جدعان حارتنا. اللي انت سايباهم يتموا سهارى . وكمان حيارى
وانت كمان ليه . يا حمام بتجنني

دور : عيونـك ياللي . الكحـل دابلهـم وخدودك ياللي .الورد حارس
وشفايفك ياللي . الشهد لابسهم وانهودك يا للي. السحر غامرهم
وانت كمان ليه . يا حمام بتجنني

وكذلك التغنسي بالأسمر رمز الأصالة أغنية آه ياأسمر اللون :

وهذه الأغنية هي للتأكيد على الهوية القومية فالعربي يفتخر بعروبته مهما كانت السلطة السياسية :

مذهب : آه يــا اسمـــر اللـــــون حيــــــــاتي الاسمـــراني
حبيبـــي وعيـــونـه ســـود والله الكحـــل ربـــانـــي

دور : لشـــوف حبيبـي ع الـدرب لخطف نظـــره جـــوا القـلب
والله لربطلـــه ع الــــدرب حيــــــــاتي الاسمـــراني

دور : لشـــوف حبيبـي ع المينـــا بـايـــده فلــه ويـا سمينة

صب المـــي واسقينـــا حيـــاتي الاسمـــراني

دور : لشـــوف حبيبـي ع السطـوح وشمـــره الاجمـــد عمـا يلوح

من بعـــده قلبـي مجـــروح حيـــاتي الاسمـــراني

دور : لشـــوف حبيبـــي بالمـــرجه وضـــربني بالجـــانركـــه

والله لكرجله (۱) كرجـــــه حيـــاتي الاسمـــراني

مذهب : مرمر زماني يا زماني مرمـــر قلبـي مولّع في هواك ياالاسمر

★ ★ ★

دور : يارايحه عالحمّام خديني معاكي لاحمل لك البقجه وامشي وراكي

وان كان أبوكي ماعطاني ايـّاكي لاعمـل عمايل تنكتب بالدفتـر

★ ★ ★

دور : من صغر سنّي حبهـا فاتنّي هادي الحليوه بعينها تسـحرني

بالله يا قلبي عالهوى تعذرني نظروك عيوني وأصبحت أتمرمر

★ ★ ★

دور : مرمر زماني حبّك عم يكويني تعي لجنبي وايمتى ح تواسـيني

وان كان مـرادك اتلاوعيني لاعمل عمـايل ما عملهـا عنتـر

وعندما كانت الفتاة تركب العربية في طريقها إلى بيت العريس يوم العرس كانت المدعوات ينشدن : أغنية يابنت المعاون ، وقد غنيت هذه الأغنية واشتهرت في لبنان .

مذهب : يـــا بنت المعـــاون خلخـــالك لـــوى

دور : انـــا ما شـــي بـــلوبي صـــادفنـي حبيب قلبـــي

انـــا طـــالب مـــن ربـــي ان نكـــون ســـوى

يا بنت المعاون خلخالك لوى

دور : كل ما بشــوفــك على دربــي بوقف وبيمشـــي قلبـــي
وبقـــول يا ترى شـــو ذنبي وفـــين الـــدوى

يا بنت المعاون خلخالك لوى

دور : انـــا مـــا شـــي على مهـــلي وعيـــون الحلـــوة تندهلي
انت يـــا روحي واهـــــلي حبـــك في قلبـــي كـــوى

يا بنت المعاون خلخالك لوى

دور : انـــا مـــا شـــي فـــي الحقـــل هـــو اللـــي آخـــد عقلي
ربـــي يـــا ربـــي هـــاتلـــي حبـــي للنـــــام ســـوى

يا بنت المعاون خلخالك لوى

أما قبل الخطبة فيتغنى الشباب والبنات في سهراتهم الخاصة اغنية العزوبية وقد غنتها فيروز المطربة اللبنانية الكبيرة مع تغيير في كلماتها :

مذهب : ع العزوبيـــة طـــالت علـــي قـــومـــي اخطبيـــلي يا مـــاما

حـــلـــوه وشـــاميـــة

دور : عـــروسه يـــا خـــاطبـــه مـــا تكـــونـــي مطـــالبـــه
هـــاتـــي العـــروســـه ياماما وخـــــدي الهـــديـــة

دور : مـــن بحـــــر فنـــــك هـــــاوينـــــي منـــــك
واحـــــده أمـــــيره ياماما مستحيـــــة منـــــك

دور : بس اوعـــــي يا ختـــي تكـــــونـــي دختـــ
مـــا شفت بختـــــي ياماما في البنت ديـــــــــ

دور : طـــــال اصطبـــــاري آه بـــس يـــا نـــــاري

زاد افتكـــــاري ياماما حنـــي عـــلـــي

مذهب : يا نـــاري ع العـــزابي — يـــا نـــاري عليـــــه

ســـافـر بـــلا زواده — داب قلبـــي عليـــــه

دور : ما قلتـله يا مســـئلـم — آه بـــا مســـئلـم

ولمســــه في عنقـــي عـــلم — يـــا وعـــدي عليـــــه

دور : لـو ما خـــوفـــي مـــن امـــي — تهكـــــل همـــي

لحطـــــه جـــوا كمـــي — وخيـــــط عليـــــه

دور : لـو ما خـــوفـــي مـــن الجـــاره — هـــا لقهـــــــاره

لقـــوم فتش بالحـــاره — ولـــوب عليـــــه

وتغني البنت على مسمع من الشباب وذلك لتغري أيا منهم بخطبتها وأنها تريده أغنية يا حياتي عليه

مذهب : يـــا حياتي عليـــــه — دلّـــوني عليـــــه

دلّـــوني فـــــين — وأنـــا دوّر عليـــــه

* * *

دور : دلّـــوني دلّـــوني — وأنـــا شاحـت عيونـــي

دلّـــوني وارحمونـــي — وأنـــا دوّر عليـــــه

* * *

دور : دلـــوني بتكســبوني — ان كنتـــو بتعزونـــي

بقلوبـــكم هـــالحنونـــه — تدوروا معـــي عليـــــه

* * *

دور : دلـــوني يـــا حبايـــب — وسنـــين بقـــالو غـــايب

والقلـب مغـرم ودايـب وأنـا دوّر عليـه

★ ★ ★

دور : قـولولـه عـن أحـوالي ع الـلي من بعـده جرالـي
أيّـام واللـه وليـالي وأنـا دوّر عليـه

ومن الأغاني المشهورة التي كانت ترددها جدتي سماعا من حديقة أم الخمسة أغنية أول عشرة محبوبي ياعيني وهذه الأغنية مشهورة يرددها المطرب الحلبي نقيب الفنانين صباح فخري .

مذهب : أول عشرة محبوبـي هـداني خـاتم ألمـاس
يا عيني
وهو قصدي ومطلوبـي وهـادا الاليـق بين الناس
يا عيني

دور : قلت لها مشي بكـير مـين بيعرف شـو بصـير
يا عيني
درب الحب طـويل كتـير ويامـا قـاسوا فيـه الناس
يا عيني

دور : منـديلك أحمـر وردي زاهي وبلـون الخـدّ
يا عيني
وايمتـى بتجـي لعنـدي لشيلك واحطك ع الـراس
يا عيني

دور : منديلي أحمـر منقـوش واشـتريته بعشـر قـروش
يا عيني
لا هو غالي ولا مغشـوش وهـادا الاليـق بين الناس
يا عيني

زمن أغاني الأفراح القديمة والتي تعود إلى العصر الوثني قبل الميلاد وفيها اسم الإله أيا

أغنية ميلي ما مال الهوى

مذهب : ميلي ما مال الهـوى ياعيني وعيني يامو ليـا

والله لاحبـك صحيح ياعيني بس اصفيلي النيـــــه

★ ★ ★

دور : يـام القميص الملبس ياعيني يحفظ راعيـــــكي
مالي قتيل في الهـــوى ياعيني الا فكـري فيـــكي
وان كـان مـافي دهب ياعيني بالـروح لافديـــكي
وان كان مالك ثمـــن ياعيني تفـــدا لك عينـــي

★ ★ ★

دور : ويقـول هـــي دينـي ياعيني وعيونهـا تنـاديـــلي
سـافر حبيب القلـب ياعيني مـين بقـى يسـلّيني
يارب بعــد العـذاب ياعيني عـلى حبـي تهدينـــي
واحفظ عهـــود الوداد ياعيني ما زال هـــي لـــي

ومن الأغاني أيضا : والتي تغنى عند الباس العروس قفطانها أو التفصيلة أغنية يا أم القميص القصب . . . .

ومن الأغاني المشهورة التي تنشدها الصبايا في حفلات الخطوبة عندما يكون العريس من سكان الحارة هلالا ليه أي هلالا والله وهذه كلمات الأغنية القديمة أيضا

مذهب : هـلا لا وليّـــا وعينـي يـا لبنيـــه
محبوبتـي بالصّغــر متولعـــه فـــيّ

★ ★ ★

دور : لرقب أنـا بابكـم بعـد العشـا بنتفــه
مـدري أنتـم نايمـين وسراجكـم مطفـــي
مـدّيت ايدي ع العنب لقطف أنـا قطفـــه
ضحك وقالّي استحوا يـا حراميـــه

★ ★ ★

دور : محلا هوا بيتكم — محلا قعودي فيه

لولا هوا بنتكم — شو كان لي غرض فيه

لو كان الهوا في اللحم — لشّرحه وارميه

بس الهوى بالعضم — شو طالع باديا

★ ★ ★

دور : يا شوقي مين زعّلك — تهرب دايما منّي

على دربك يا حبيبي — بتمشي أنا رياحي

حسّيت غيري الشهد — تاري فئي المر

يا ربي يدوب الثلج — ويرجع حبي ليا

أما في السهرات فتتغنى البنات بالعريس الموعود والصفات التي يجب أن تكون في سيمائه وذلك في أغنية يامو لوح كرمنا :

مذهب : اول ما حاكاني الحلو الاسمراني — شرحلي غرامه شربكني ورماني

دور : ما في من جماله — ولا اسمى من دلاله

لكن قلبي والله — آخد عقلي مابدي بداله

دور : مهما حكو لي عنه — وانا رضيت بحبه

لكن قلبي والله — واخد عقلي ماراح لاقي منه

دور : كل يوم على بكرا — يسعدني بنظره

لكن قلبي والله — واخد عقلي والمنديل بايده

أما أغنية تحت هودجها فشهرتها في الريف كبيرة وتعتبر من أغان نشوة الماضي :

مذهب : تحت هودجها وتعالجنا — صار سحب سيوف يا ويل حالي

دور : ما قتلني غير ابو اللفه — يا دهب يلطم على الشفه

	قلتلهــــا حــلوه ميــلي نتفـــه	قالت ما سترجي يا ويل حـــالي
دور :	مـــا قتلنـــي غـــير ابــو محمود	يا دهب يلطـــم عـلى الخــدود
	قلتلهـــا حلــوه هاتي الفــرود	قالت ما سترجي بقـــوس حالي
دور :	ما قتلنـي غـــير ابــو ســمره	يا دهب يلـــوح عـلى الغـــره
	قلتلهـــا تعـــي ميــلي بالمـــره	قالت ما سترجي يا ويل حـــالي
دور :	ما قتلنـي غـــير ابــو المشلح	يا دهب يلمـــع على المـــدبح
	قلتلهـــا حــلوه قــومي نسبح	قالت ما سترجـــي بغــرق حالي

ومن الأغاني الدمشقية القديمة التي تعود إلى مرور نبي الله ابراهيم أبو الأنبياء من دمشق وتغنى تغزلا بابراهيم في السهرات الخاصة لتشجيع ابراهيم على الزواج : وكذلك

مذهب :	بـــرهـــــوم يــا بــرهـــوم	يـــا بـــو الجـــــديـــلـة
	عــذبت قلبـــي يـــا برهـــوم	و انت تـــــوميـــــــلي
دور :	بـرهــــــوم ع الـــطــــوح	و الشعـــــر بـــلــــوح
	والقـبـــنب مجـروح يـــا برهوم	جـــــــرح الـــسكينـــــه
دور :	بـرهــــــوم مـــا اسمحـــلــك	لتشـــــــــــاور اهـــلك
	بـأول جهـــلــك يـــا برهـــوم	خـــايف تـــرمينـــــــي
دور :	لا طـلـــــــع ع الجبـــــــل	واقعـــــد ع الكــــرسـي
	افـــرح يـــا قلبـي يـــا قلبـي	الليــــــلـة عـرســــي
دور :	اهـــــــلي جـــا بـونـــي	بـــدهـــن يعطــــونـــي
	لـواحــد فـــلاح يـــا برهـــوم	واحــــــــد مجنـــــون
دور :	بـــرهـــــوم في الحــــــاره	بيشـــــرب ســـيكـــاره
	دخـــلــك يـــا ســـاره يـــا ساره	الليـــــلـة اسمحيـــلـي

وعند مجيء الهديا والنقوط وكانت غالبا من قماش التفتا أي الحرير وكان سابقا يأتي من الهند ومن تعابير هذه الكلمة التفتناز وتعني مدينة الحرير وهذه المدينة واقعة في محافظة ادلب الآن بين دمشق وحلب وهذا يشير إلى قدم الأغنية :

مذهب : تفتــه هنـدي حـرير هنـدي — شـاش رفعـاوي يا بنـات
افتحيـلي يـا حـلوة — لاجـل ابـات لاجـل ابـات

دور : البعـاد يـا نـاس ضنـاني — ما العمـل مـالـي طبيـب
الى متـى يسمح لـي زمـاني — باجتمـاعي بالحبيـب

دور : صحت وجـدا مـن مجـيري — في هـوى حـلو الـدلال
ومعـينـي ونصـيري — ان سـطا يـرمـي النبـال

ولما كانت الشامة دلالة الأصالة فإن البنات يغنين في الاحتفالات :

مذهب : حـلـو يـابو الشـامـه — على خـدك في عـلامـه
وعيـونـك بتجننـي — رمت في قلبـي غـرامـه

دور : حـول تعـا لصـوبي — يا بـو شعـر خرنـوبـي
قـاعـد ويـا محبـوبي — يـا ناس ما عليـا مـلامـه

دور : حـول تعـا لعنـدي — يا بـو الجـاكيت الهنـدي
حبيبـي هـا الافنـدي — وانـا مـا عليـا مـلامـه

دور : قـرب واللـه عليـا — وخـد ايـدك باديـا
وحبيبـي ولف ليـا — يا نـاس ما عليـا مـلامـه

ومن أغان الخطبة القديمة والتي اشتهرت في القرن الماضي أغنية عالروزأنا والروز هو التقييم يقال راز الشيىء أي قدر وزنه بالنظر :

مذهب : ع الروزنا ع الروزنه كل الهنا فيها — وشو عملت الروزنة اللـه يجازيها

دور : يا رايحين لحلب . حبي معاكم راح يامشيلين العنب . فوق العنب تفاح

وكل من حبيبه عنده . الا حبيبي راح ياربي نسمة هوى . تردالولف لي

دور : يا رايحين لحلب . صفوا لنيتكم تلتين عقلي شرد . بهوى بنيتكم

حلفتكم بالنبي . ومنين ميتكم ميتنا خاصي حما . شرب الافنديه

دور : يا عمي خدني معك . للشام لتعرج وادخل ع سوق العبي واشري لهامدرج

مديت ايدي ع الصدر . قالت لاتتفرج رمان جناين عدن . لمسه منهم بميه

أما عندما تتأخر خطبة البنت فإنها تذكر ابيها بمخاوفها من العنوسة وتغني مع زميلاتها لتذكر أباها ليبحث لها عن عريس كما تقضي بذلك الشريعة الإسلامية .

مذهب : بست ريال يا با جوزني بست ريال يا با جوزني

دور : كنت صغيرة صرت كبيره ست واميرة يا با جوزني

دور : أمي احتالت لبويه وقالت البنت بارت يا با جوزني

دور : امي يا لدار وابويه بالدار لو كان ختيار يا با جوزني

دور : ابي بفراش وامي بفراش وحدي بخاف بابا جوزني

أما الأغنية المشهورة التي تغنيها المطربة فيروز فهي البنت الشلبية وهي تحوير عن البنت الشامية وكان الشباب العزاب ينشدونها في نزهاتهم :

مذهب : البنت الشلبية حلوه وشامية

يحلالي قوامك يا نور عيني

دور : لبست الماظها قلعت الماظها

في وسط نهودها راسمه رسميه

دور : لبست حلقها قلعت حلقها

ربي خلقها عايزه تجنني

دور : لبست البني قلعت البني

عــــايــزه تجننـــــي عــروســـــه مجليـــه

وكذلك أغنية طالعة من بيت أبوها ....

مذهب : طـالعــه من بيت ابـوهــا رايحــه ع بيـت الجــران

فـات (١) مـا سـلم عـلي يمكـن الحلـو زعـلان

دور : قلتلهـا يـا حلـوه اروينـي وعطشـان ميـه اسقينـي

قـالتـلي روح يـا مسكـين ميتنـا ما بتروي العطشـان

دور : قلتلهـا يـا حلوة اروينـي وعلـى طولك فرجينـي

قـالتـلي روح يـا مسكـين يـا طـولي عـود الريحـان

دور : قلتلهـا يـا حلوة اروينـي وعلى عيونـك فـرجينـي

قـالتـلي روح يـا مسكـين عيـونـي عيـون الغـزلان

ومن أغان الخطبة بعد الزيارات وعند انصراف المهنئات أغنية مع السلامة

مذهب : مع السلامه يا حلـوه والـدرب منـين

ولـو بنعـرف ودّعـاكي قبـل بيومـين

* * *

دور : ودّعـاكي وبكينـا وما بقـى فينـا

ويا حلـوه لا تنسـينا يـا نـور العـين

* * *

دور : ودّعـاكي لبـيروت يـا أم الكبـوت

ومحـلا النومـه ع الزنـود تسـوا ألفـين

* * *

دور : ودعـاكي للديمـاس يـا أم الالمـاس

ومحـلا رجوعـك بين الناس وفرحـة العـين

وعند تقديم الهدايا تغنى الأغنية المشهورة إذا كانت الهدية من الؤلؤ :

مذهب : لـولـو بلولو شلة حبيبي طالب من الله الحلـو نصيبي
يا خي ليه وشبدك مني آه تسأل عني ليـه أمر الله وحكم
يا لولـو

دور : من يوم حبيته من قلبي هويته طالب من الله يسلملـي ريتـه
يا خي ليه وشبدك مني آه تسأل عني ليـه أمر الله وحكم
يا لولـو

دور : لبسني الاخضر شلحني الاخضر أنا شفته مـرة ماشي يتمختـر
يا خي ليه وشبدك مني آه تسأل عني ليـه أمر الله وحكم
يا لولـو

وعند الهدايا البسيطة اشتهرت الأغنية الصالحانية الكلبية لأن الكلبيين لايغالون في المهور وأحسن الأزواج عندهم السادة كما قالت نائلة الوفية زوجة الخليفة عثمان بن عفان :

مذهب : ع الصّالحية يـا صالحـه يصلحلي أمورك يـا صالحـه
لا تقولـوا وينك يا صالحه ما غمضت عيوني من مبارحـه
لشوف حبيبي أنـا رايحـه

دور : جابلي وجابلي وياماما جابلي حلق الالماس انشا الله يلبقـلي
حاكيته شي ؟ لا واللـه زعّلني شي ؟ لا واللـه
وأنـا لعنـده رايحـه

دور : جابلي وجابلي وياماما جابلي عقـد اللولو انشا الله يلبقـلي
عـذّبني شي ؟ لا واللـه مرمرني شـي ؟ لا واللـه
وأنـا لعنـده رايحـه

دور : جبلي وجبلي يا دادا جبلي روب الحرير شكله يلبقلي

نسيني شي ؟ لا والله لـوعني شي ؟ لا والله

وأنا لعنده رايحه

وفي يوم الكتاب تغني العروس وأهلها في ساحة المنزل أغنية شقائق النعمان :

مذهب : البلبل ناغى على غصن الفل آه يا شقيق النعمان

قصدي ألفلف محبوبي بين الياسمين والريحاني

★ ★ ★

دور : شرف حبيبي لعندي صار لي سنتين عم بستناء

اجو حبابي يهنوني والبلبل ع الشجر غنى

★ ★ ★

دور : محلاك بشدوك وألحانك يهني زماني وزمانك

ما دام وافاني حبيبي السعد منه وهناني

★ ★ ★

دور : كل يوم من الصبحيه يطربني بأحلا غنيه

بلبل وجاني من حبيبي وصلني منه وهناني

★ ★ ★

دور : لاشوف حبيبي بالحارة ياما كوى قلوبنا بناره

طقو موتوا يا لعدا والغيظ بيعمل جكاره

كما يتغنون بعيون الرجال البدو الصغيرة ولكنها معبرة وصغر عيون البدو له اسباب منها الرمال الكثيرة في الصحراء والبنت الشامية تفضل الشاب البدوي لفروسيته وكرمه وشهامته :

مذهب : آه يا عيوني يا نور عيوني وعيون البندق والله رموني

دور هي : أحب العربي ولبس العربي حبي شلبي يا ضو عيوني

دور هو : احب الاسمر ولون الاسمر عمبتهور وانتي عيوني

دور هي : احب الدهبي ولبس الدهبي يا ساكن قلبي ياضي عيوني

ور هو : احب البني ولون البني رايحه تجنني وعيونها رموني

ور هي : احب النيلي ولبس النيلي يا حلو ديني يا ضي عيوني

دور هو : احب القمر ولون القمر والخد معطر يا ضو عيوني

أما في وداع العروس قفإذا كانت العروس ذات صوت جميل فتغني الأغنية المشهورة واخ مشعل :

مذهب : على واخ مشعل واخ مشعلاني
مع السلامة يا ربعي وخلاني

دور : آه منك يا زماني القاسي خليت فؤادي من حبيبه يقاسي
لو كان حبي يجيني يواسي جرح فؤادي كان والله هناني

★ ★ ★

دور : قلبي ياقلبي لاتجافي محبوبك ممكن بيتعطف وتنول مطلوبك
ان كان مقدرتشوف مكتوبك خليني هاجر لاهلي وخلاني

★ ★ ★

دور : ياحمام ياطاير بلغهم سلامي واحكيلهم شوقي وعن آلامي
في ضلوعي نار حبي وغرامي وذكر الحبايب دايما ع لساني

وعند الرقص وفي كل الحفلات تغنى الأغنية الشامية الأصيلة هزي هزي :

مذهب : هزي هزي محرمتك الساعة سته قومي كلمي معلمتك

★ ★ ★

دور : وياريتني نعناعه وسط الميه لغني
وعشرة محبوبي سكر لكن حبه جنني

★ ★ ★

دور : الله الله شو عملنا بلبل ع الشجر غنى
كل من عنده محبوب ان شا الله فيه يتهنى

دور : ياريتني ما عرفته ولا عرفته بحالي
من يوم أنا شفتو حبه والله شغل بالي

وعند ظهور البوظة درج الناس على تقديمها في الأفراح صيفا انتشرت أغنية الدندرمه

مذهب : دندرما يا دندرما انا ابيع الدندرما

دور : يا بنت يا لابسه الشاش والعطر منك رشراش
اليوم بمصاري بكرا بلاش انا لابيعك دندرما

دور : دندرما بوظه بحليب تعا لعندي يا حبيب
قالوا لي عنك اديب حبيت اشتري الدندرما

دور : دندرما بوظه بليمون تعا لعندي يا حنون
لانك ولد مجهول بطلت ابيعك دندرما

دور : يا بنت يا اللي واقفه على المصاري خايفة
وان كانت ايدك ناشفه انا بجبلك الدندرما

في السهرات تغنى أغنية يا مال الشام :

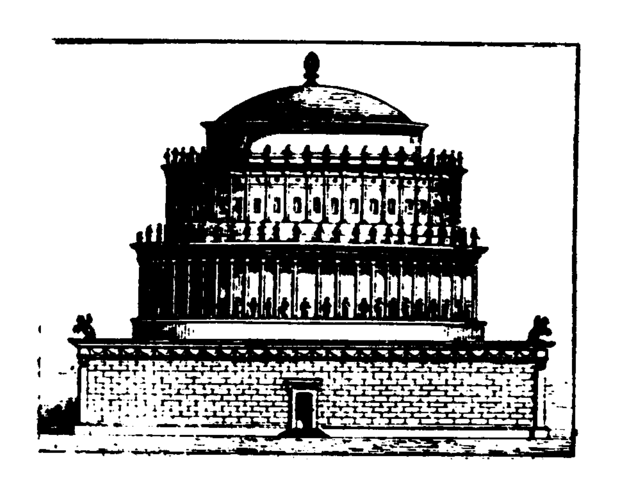
مذهب : يا مال الشام يا لله يا مالي طال المطال يا حلوه تعالي

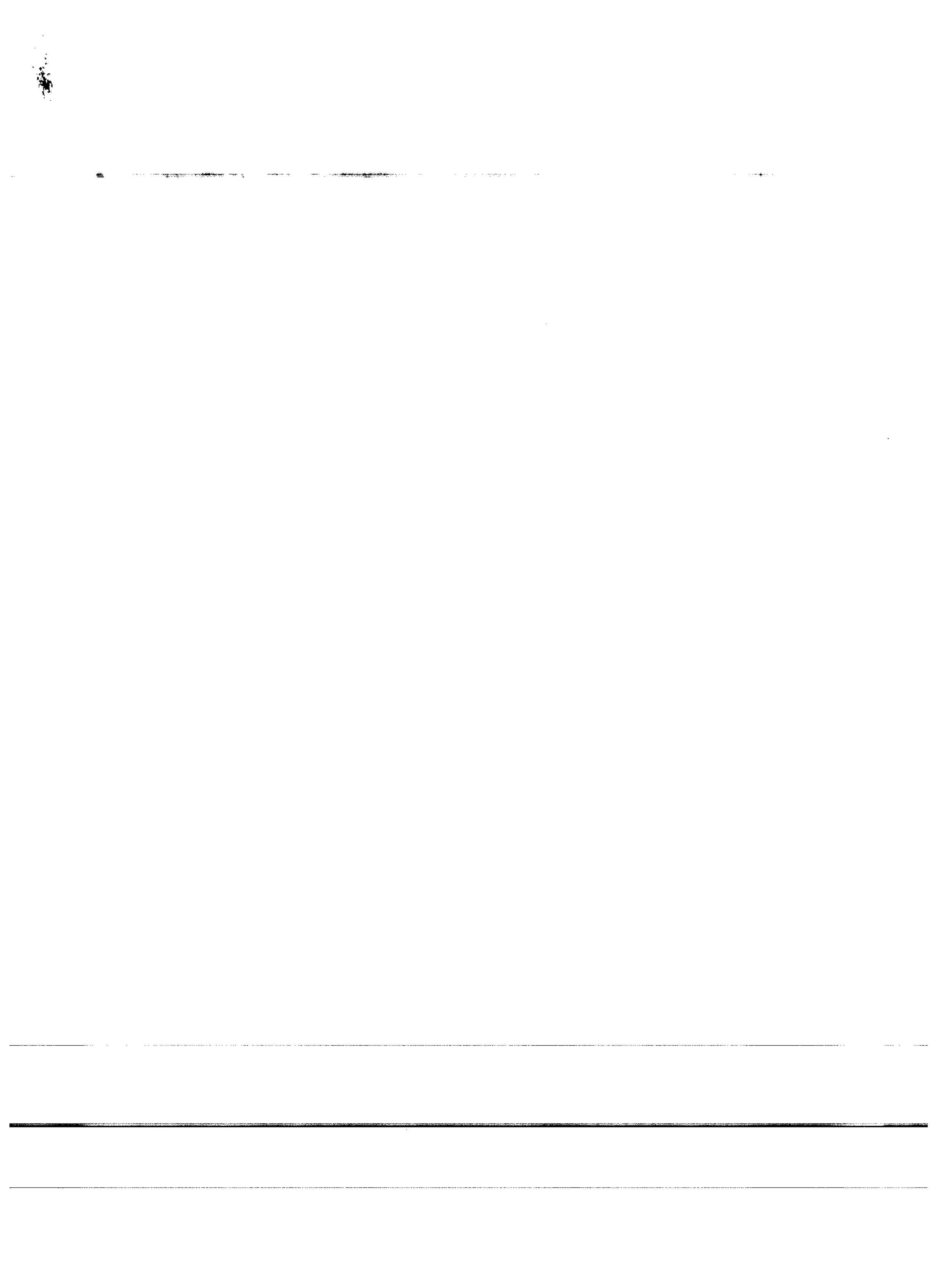
دور : طال المطال طال وطول الحلوه بتشكي كتير وبتتحول
يا ربي يرجع زمن الاول يوم يا لطيف ما كان على بالي

دور : طال المطال وما شفناهم يوم الاسود يوم ودعناهم
يا ربي يكون حبيبي معاهم يوم يا لطيف ما كان على بالي

دور : طال المطال وعيوني بتبكي قلبي مليان ما بقدر بحكي
يا ربي يكون حبيبي ملكي يوم يا لطيف ما كان على بالي

الفهرس





في هذا الكتاب :

١ – الأصول التاريخية لمؤسسة الزواج .

٢ – ما يجب أن تعرفه الفتاة والشاب لتكوين الزواج الناجح .

٣ – التاريخ الاجتماعي للعادات والتقاليد الخاصة بالزواج في دمشق

٤ –مراحل العرس : الصمدة التفتيلة الجلوة الدخلة وإزالة البكارة

٥ – فك العريس –دجاجة الحماية – صرة العرس

٦ – الخطبة والخطابة

٧ – التلبيسة

٨ – الاستخارة والربط وفك الربط –وكافة العادات القديمة

٩ –محتويات الجهاز في الريف والمدينة وعند البدو

١٠ – الحنه والنقش

١١ – الحمام وحمام العرس

١٢ – الزلاغيط

١٣ –اغاني الأفراح

١٤ – أنواع الدبكات .

دَارُ



دمشق - عين الكرش - جادة كرجية حداد - رقم ٤٨

ص ب ٣١٤٣ هاتف ٤٢٩٦٩٣